

نؤمن بالله

ما الذي نعرفه عن الله

الدرس
الأول



خدمات الألفية

الثالثة

تعليمٌ كتابيٌّ للعالم. مجانًا.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريب مسيحيّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائل إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

- I . المقدمة**
- II . الإعلان والأسرار**
- أ. الإعلان الإلهي
- ١ . المفهوم الرئيسي
- ٢ . الأنواع
- ب. الأسرار الإلهية
- ١ . المفهوم الرئيسي
- ٢ . الأنواع
- III . الصفات والأعمال**
- أ. الصفات الإلهية
- ١ . المفهوم الرئيسي
- ٢ . الأنواع
- ب. الأعمال الإلهية
- ١ . المفهوم الرئيسي
- ٢ . الأنواع
- IV . الخاتمة**

نؤمن بالله

الدرس الأول

ما الذي نعرفه عن الله

المقدمة

تعني "معرفة الله" أشياء مُخْتَلِفَةً لِكُلِّ شَخْصٍ - فَهِيَ تَتَنَوَّعُ مَا بَيْنَ اخْتِبَارِ عَلاَقَةِ شَخْصِيَّةٍ حَمِيمَةٍ مَعَ اللَّهِ، وَمُعَايَنَةِ أَعْمَالِهِ، وَإِدْرَاكِ حَقَائِقِ أَعْلَنَهَا الرُّوحُ الْقُدُسُ عَنْهُ. يُدْرِكُ مُعْظَمَنَا قِيَمَةَ أَنْ تَكُونَ لَنَا عَلاَقَةُ شَخْصِيَّةٍ مَعَ اللَّهِ، وَأَنْ نَرَاهُ عَامِلًا فِي الْعَالَمِ. لَكِنْ لِأَسْفَى، لَا يَشْعُرُ الْكَثِيرُ مِنَّا بِأَنَّ مَا يُسَاوِي هَذَا فِي الْأَهْمِيَّةِ هُوَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْعَدِيدَ مِنَ الْحَقَائِقِ عَنِ اللَّهِ بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ. وَالْأَمْرُ لَيْسَ غَرِيبًا. فَإِنَّ دَرَاةً مَا يَصِفُهُ عِلْمَاءُ اللَّاهُوتِ النَّظَامِيِّ تَقْلِيدِيًّا "بِعَقِيدَةِ اللَّهِ"، أَوْ "العقيدة عن الله" هُوَ أَمْرٌ مُعَقَّدٌ لِلْعَايَةِ وَيَتَطَلَّبُ مَجْهُودًا كَبِيرًا. وَبِالرَّغْمِ مِنْ صُعُوبَةِ الدَّرَاسَةِ، فَكُلَّمَا تَعَلَّمْنَا عَنِ اللَّهِ، نَمَتْ عَلاَقَتُنَا الشَّخْصِيَّةَ مَعَهُ. وَكُلَّمَا زِدَادَتِ الْحَقَائِقُ الَّتِي نَعْرِفُهَا عَنْهُ، زَادَ وَعَيْنًا بِعَمَلِهِ فِي الْعَالَمِ. بَلْ فِي الْوَاقِعِ، نُقَوِّي مَعْرِفَتَنَا عَنِ اللَّهِ بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ كُلِّ بَعْدٍ مِنْ أَبْعَادِ إِيمَانِنَا الْمَسِيحِيِّ.

هَذَا هُوَ الدَّرْسُ الْأَوَّلُ فِي سِلْسِلَتِنَا هَذِهِ بِعُنْوَانِ، نُوْمِنُ بِاللَّهِ، وَهِيَ سِلْسِلَةٌ مُخَصَّصَةٌ لِدَرَاةِ عَقِيدَةِ اللَّهِ، أَوْ دَرَاةِ الْعَقِيدَةِ عَنْ شَخْصِ اللَّهِ. وَعُنْوَانُ هَذَا الدَّرْسِ "مَا الَّذِي نَعْرِفُهُ عَنِ اللَّهِ". وَفِي هَذَا الدَّرْسِ سَنَسْتَعْرِضُ كَيْفِيَّةَ تَنَاوُلِ عِلْمَاءِ اللَّاهُوتِ النَّظَامِيِّ الْإِنْجِيلِيِّينَ لِبَعْضِ مِنْ أَهَمِّ الْمَوْضُوعَاتِ الرَّئِيسِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِفَهْمِ مَنْ هُوَ اللَّهُ وَمَاذَا يَعْمَلُ.

سَيَقُومُ هَذَا الدَّرْسُ التَّمْهِيدِيُّ بِعُنْوَانِ مَا الَّذِي نَعْرِفُهُ عَنِ اللَّهِ بِالْتَّرَكِيزِ عَلَى شَقَّيْنِ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الرَّئِيسِيَّةِ. أَوَّلًا، سَنَسْتَكْشِفُ مَعًا إِعْلَانَ اللَّهِ وَأَسْرَارَهُ - أَيُّ مَا كَشَفَهُ اللَّهُ عَنِ نَفْسِهِ، وَمَا حَجَبَهُ. وَثَانِيًا، سَنَدْرِسُ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَعْمَالَهُ - هَذَانِ الْمَوْضُوعَانِ هُمَا مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الرَّئِيسِيَّةِ فِي الدَّرَاسَاتِ الْكَلَّاسِيكِيَّةِ لِعَقِيدَةِ اللَّهِ. لَنَنْظُرُ أَوَّلًا إِلَى إِعْلَانِ اللَّهِ وَأَسْرَارِهِ.

الإعلان والأسرار

مِنْ أَجْلِ تَبْسِيطِ الْأَمْرِ، سَنَتَنَاوَلُ مَوْضُوعَ إِعْلَانِ اللَّهِ وَأَسْرَارِهِ مُنْفَصِلًا. وَسَنَبْدَأُ بِمَوْضُوعِ الْإِعْلَانِ الْإِلَهِيِّ، ثُمَّ نَتَجَّهُ إِلَى الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ. لَنَبْدَأُ إِذَنْ بِمَا يُؤْمَنُ بِهِ الْمَسِيحِيُّونَ عَنْ إِعْلَانِ اللَّهِ، أَوْ مَا كَشَفَهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ لِلْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ.

الإعلان الإلهي

ونحن ندرس عقيدة الله من الصَّعب تصوّر أي موضوع يكون أكثر أهمية من موضوع الإعلان الإلهي. ما الذي كشفه الله عن نفسه؟ وكيف فعل هذا؟ سنحدّد إجاباتًا عن هذه الأسئلة مسّار كل جانب من جوانب العقيدة عن الله.

سنقومُ بعرضِ فكرةِ الإعلانِ الإلهيِّ بطريقتين: أولاً، سنقدّمُ المفهومَ المسيحيَّ الرئيسيَّ عن الإعلانِ. وثانياً، سننظرُ إلى نوعي الإعلانِ الرئيسيين اللذين لا بُدَّ أن نضعَهُما في اعتبارنا في أثناء تعلّمنا عن الله. إذن، ما هو المفهومُ الرئيسيُّ للإعلانِ الإلهيِّ؟

المفهوم الرئيسي

من أجل أغراضنا، يُمكننا أن نُوجزَ الفكرةَ المسيحيةَ الرئيسيةَ عن الإعلانِ الإلهيِّ كما يلي:

الإعلانُ الإلهيُّ هو كشفُ الله عن ذاته، دائماً بمفرداتٍ بشريّةٍ، وعلى أكمل وجهٍ في المسيح.

وجّهان لهذا المفهوم يستحقّان تسليط الضوء عليهما، بدءاً بحقيقة كون الله قد أعلن عن نفسه دائماً بمفرداتٍ بشريّةٍ.

أحد أروع الأشياء من جهة إله الكتاب المقدّس، والتي اعتقدُ فعلياً أنه ينفردُ بها وحده، هي قدرته على الحفاظ على جميع صفاته غير القابلة للنقل، أو غير المحدودة، مثل السيادة والسرمديّة واللامحدوديّة، في تواصله مع المخلوقات المحدودة بالزمن، في التاريخ. وكما أخبرنا، فإن "أهيه" العظيم قد دخل في حيز الزمن والمكان، في علاقةٍ مع المخلوقات، متواصلًا معهم بوسيلةٍ ثلاثٍ مستواهم. هذا لا يعني أنه يضحّي بشيءٍ من طبيعته الكليّة المعرفة، وغير المحدودة، والسرمديّة، لكنّه يتواصلُ معهم على نحوٍ يُلائمُ مستواهم - كما قد نفعل نحن

لِلتَّوَّاصِلِ مَعَ طِفْلِ صَغِيرٍ - وَيَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ عَلَى هَذَا الْمُسْتَوَى. فَحِينَ أَدْخُلُ إِلَى الْمَطْبَخِ وَأَرَى الدَّقِيقَ مُتَنَاثِرًا فِي كُلِّ الْأَنْحَاءِ، أَقُولُ: «حَبِيبَتِي، هَلْ حَدَّثَ شَيْءٌ لِلدَّقِيقِ؟» أَقُولُ هَذَا لَيْسَ لِأَنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّ شَيْئًا قَدْ حَدَّثَ، لَكِنِّي أَتَوَّاصَلُ مَعَ أَطْفَالِي بِمَا يُلَائِمُ مُسْتَوَاهُمْ. وَهَذَا مَا يَفْعَلُهُ اللهُ مَعَنَا فِي نِعْمَتِهِ. فَإِنَّ التَّنَازُلَ الْمُذْهَلَّ مِنَ اللهِ يُؤَدِّي إِلَى تَوَّاصُلِهِ مَعَنَا عَلَى نَحْوِ بَيْدُو أَحْيَانًا وَكَأَنَّهُ سَاوِمٌ فِي إِحْدَى صِفَاتِهِ السَّرْمَدِيَّةِ وَغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ. لَكِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ هَكَذَا الْبَتَّةَ. فَإِنَّ اللهُ يَتَوَّاصَلُ مَعَنَا بِحَسَبِ مُسْتَوَانَا، فَقَطُّ لِأَنَّهُ يُحِبُّنَا كَثِيرًا.

— د. ك. إريك تونيس

جَمِيعًا يَعْلَمُ أَنَّنَا لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَدْرِسَ اللهُ كَمَا نَفْعَلُ مَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ أُخْرَى فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ. فَإِنَّا لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَقِيسَ طُولَهُ وَوِزْنَهُ، أَوْ نَضَعَهُ فِي أَنْبُوبِ اخْتِبَارٍ وَنَفْحَصَهُ. بَلْ عَلَى النَّقِیْضِ، فَإِنَّ اللهُ سَاهٍ لِلْغَايَةِ، وَيَفُوقُنَا كَثِيرًا، حَتَّى أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْتَرِضِ أَنْ يَكُونَ مُحْتَجِبًا تَمَامًا لَوْلَا حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ: وَهِيَ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ أَعْلَنَ عَنْهُ بِمُفْرَدَاتٍ بَشَرِيَّةٍ. وَكَثِيرًا مَا تَحَدَّثَ عُلَمَاءُ اللَّاهُوتِ النَّظَامِيِّ عَنِ هَذَا بِاعْتِبَارِهِ الصِّفَةَ التَّائِيْسِيَّةَ فِي الْإِعْلَانِ. بِمَعْنَى آخَرَ، لَقَدْ كَشَفَ اللهُ عَنِ نَفْسِهِ فِي صُورَةٍ بَشَرِيَّةٍ، أَوْ بوسائلٍ يُمكنُ لِلبَشَرِ فَهْمَهَا.

تُوجَدُ عَلَى الْأَقْلِّ أَرْبَعَةٌ أَنْوَاعٍ مِنَ الْإِعْلَانِ التَّائِيْسِيِّ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. بِالْمَعْنَى الْأَضْيِيقِ، كَثِيرًا مَا يُشَبَّهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ صِفَاتِ اللهِ بِصِفَاتِ بَشَرِيَّةٍ. فَيَتَحَدَّثُ الْعَدِيدُ مِنَ النُّصُوصِ الْكِتَابِيَّةِ عَنِ اللهِ بِأَنَّ لَهُ عَيْنَانِ، وَأُذُنَانِ، وَأَنْفَ، وَذِرَاعَانِ، وَقَدَمَانِ. وَأَنَّهُ أَيْضًا يَفَكِّرُ، وَيَطْرَحُ أَسْئَلَةً، وَيَسْتَشِيرُ آخَرِينَ، وَيَشْعُرُ، وَيَتَأَمَّلُ. وَأَنَّهُ أَيْضًا يَعْمَلُ شَيْئًا تَمَّ يَنْدُمُ، مِثْلِي وَمِثْلَكَ تَمَامًا. لَكِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ كَكُلِّ يُوضِّحُ أَنَّ هَذَا النُّوعَ مِنَ التَّائِيْسِ لَا بُدَّ مِنَ التَّعَامُلِ مَعَهُ بِاعْتِبَارِهِ صُورًا بِلَاغِيَّةً - أَيُّ تَشْبِيهِ اللهِ بِالْبَشَرِ. فَاللهُ لَيْسَ لَدَيْهِ عَيْنَانِ أَوْ يَدَانِ مَادِيَّتَانِ كَمَا لَدَى الْبَشَرِ. لَكِنَّا مَعَ ذَلِكَ نَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَى وَيَصْنَعُ أُمُورًا طَوَالَ الْوَقْتِ.

أَمَّا بِالْمَعْنَى الْأَشْمَلِ قَلِيلًا، فَإِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ أَيْضًا يَقْدُمُهُ عَلَى نَحْوِ تَائِيْسِيٍّ مِنْ حَيْثُ أَنْظَمَةُ اجْتِمَاعِيَّةٍ بَشَرِيَّةٍ. عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، يُصَوِّرُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ اللهُ كَثِيرًا عَلَى أَنَّهُ مَلِكُ الْخَلِيقَةِ الْأَعْلَى. فَهُوَ يَجْلِسُ عَلَى عَرْشِهِ فِي السَّمَاءِ، يَرَأْسُ الْمَشَاوِرَاتِ، وَيَسْتَمِعُ إِلَى التَّقَارِيرِ، وَيَصْدُرُ تَصْرِيحَاتٍ، وَيُرْسِلُ رُسُلًا، وَيَتَلَقَّى السُّجُودَ، مِثْلَمَا كَانَ الْأَبَاطِرَةُ مِنَ الْبَشَرِ يَفْعَلُونَ فِي الْأَزْمَنَةِ الْكِتَابِيَّةِ. أَيْضًا، يُصَوِّرُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ اللهُ بِأَنَّهُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ الْمَحَارِبِ، وَمُعْطِي الشَّرِيعَةِ، وَصَانِعُ

العهد، وحافظ العهد. فهو الملك الراعي، والملك الزوج والأب لشعبه. ومرة أخرى، نُخبرنا إعلاناتُ الله هذه بأنَّ الله يُشبهُ البشرَ من نواحٍ مُعيَّنة. فهو يحكمُ بطرائقَ شبيهةٍ بالطرائقِ التي كان يحكمُ بها الملوكُ في العالمِ القديمِ.

ثمَّ وبالمعنى الأشملِ من هذا، يُمكنُ أن نقولَ إنَّ ظُهُوراتِ الله المرئيَّةِ في التاريخِ هي أيضًا إعلانٌ تأنيسيٌّ. فإنَّ الكتابَ المقدسَ يُسجِّلُ بضعةَ مرَّاتٍ ظهرَ الله في العالمِ بصورةٍ مرئيَّةٍ - وهذا عادةً ما تُطلقُ عليه اسمَ "التجلياتِ الإلهيَّةِ". وقد ربطتُ أقوى التجلياتِ الإلهيَّةِ الله بالدَّخانِ والنَّارِ الماديين، وبرؤى لِسحابةٍ مجدهِ السَّماويَّةِ. ونُخبرنا نُصوصٌ مثلُ رسالةِ كُولوسِّي ١: ١٥، ورسالةِ ١ تيموثاؤس ١: ١٧ بأنَّ الله نفسه غيرُ منظورٍ. وهكذا، فإنَّ هذه الظُّهوراتِ المرئيَّةِ لله هي أيضًا تأنيسيَّةٌ من جهةٍ أنَّها لا تُمثلُ حقيقةَ الله. بل بالأحرى تقدِّمه بطرائقَ يُمكننا نحنُ البشرُ اختياريَّها بإمكانياتنا المحدودة.

وأخيرًا، بالمعنى الأوسعِ والأشملِ على الإطلاقِ، تُعلنُ الأسفارُ المقدسةُ الله أيضًا بمُفرداتٍ بشريَّةٍ حتَّى وهي تُشيرُ إلى صفاته النَّظريَّةِ. فإنَّ الكتابَ المقدسَ يتحدثُ كثيرًا عن الله بكونه عادلاً، وفُدوسًا، وقديرًا، وما إلى ذلك. لكنَّ كتبةَ الكتابِ المقدسِ قاموا بتفسيرِ هذه الأوصافِ المُجرَّدةِ عن الله بمفرداتٍ بشريَّةٍ، وبطرائقَ يُمكننا فهمها. وهكذا من المنصِفِ أن نقولَ إنَّ كلَّ الإعلانِ الإلهيِّ قد جاءَ بشكلٍ أو بآخر في صورةٍ تأنيسيَّةٍ. فقد أعلنَ الله حقائقَ عن نفسه للجنسِ البشريِّ، دائميًا بطرائقَ ثلاثٍ محدوديتنا البشريَّةِ.

أخذين في الاعتبارِ أنَّ الروحَ القدسَ لطلالما أعلنَ لنا عن الله بمُفرداتٍ بشريَّةٍ، دَعونا ننظرُ إلى صِفةٍ رئيسيَّةٍ ثانيةٍ للإعلانِ الإلهيِّ: أنَّ الله قد أعلنَ عن نفسه على أكملِ وجهٍ في المسيح. بالتأكيدِ لا يوجدُ ما هو محوريٌّ للإيمانِ المسيحيِّ أكثرَ من المسيحِ نفسه. فهو وحدَه مُخلصنا وربنا. وهو الإعلانُ الأسمى لله عن نفسه للجنسِ البشريِّ. ونحنُ، باعتبارنا أتباعَ المسيحِ، نُقرُّ بأنَّ الله قد أعلنَ عن نفسه بطرائقَ كثيرةٍ عبرَ التاريخِ الكتابيِّ. لكنَّ نُصوصًا مثلَ كُولوسِّي ١: ١٥ نُخبرنا بأنَّ يسوع هو الإظهارُ والكشفُ التَّامُّ لله عن نفسه بمُفرداتٍ بشريَّةٍ. فإنَّ يسوع هو ابنُ الله الأزليِّ المتجسِّدِ، وصورةُ الله البشريَّةِ الكاملةِ، والمُمثلُ الكاملُ له. ولهذا، فإنَّ كلَّ ما نؤمنُ به عن الله لا بدَّ أن يتفقَ مع الإعلانِ الأسمى لله في يسوع - أي في تعاليمه، ودلالةِ حياته، وموته، وقيامته، وصعوده، ومجيئه الثاني المجيدِ.

مع وضعِ المفهومِ الرئيسيِّ عن الإعلانِ الإلهيِّ في الاعتبارِ، يجبُ أن ننظرَ أيضًا فيما يلي إلى كشفِ الله عن ذاته من خلالِ تناوُلنا الأنواعِ المختلفةِ للإعلانِ الآتي من الله.

الأنواع

كما ذكرنا، إنَّ يسوع المسيح هو إعلان الله الأسمى. لكنَّ في كتابات العهد الجديد، أوضح المسيح أنه ليس إعلان الله الوحيد عن نفسه. بل أكدَّ أنَّ الله قد أعلن عن نفسه بطرقٍ مُتنوعة.

أولَّ كلِّ شيءٍ، لا يمكننا أن ننجح في معرفة الله ما لم يعلن هو عن نفسه لنا، وهو يفعل هذا بطرائق كثيرة، من خلال الخليفة وعجائبها فيما ننظر من حولنا. كما يعلن لنا عن نفسه أيضًا في علاقاتنا مع الآخرين الذين يُظهرون لنا ما تعلموه عن الله. فنحن نتلقى هذا الإعلان من الله على مستوياتٍ مختلفة. بالطبع، بالنسبة للمؤمنين، يعدُّ المستوى الأهمُّ هو إعلان الله عن نفسه لنا في كلمته المقدسة. وهكذا، فإننا ننظر من حولنا وداخل أنفسنا ونرى الله مُعلنًا لنا، فنعلم أنه كائن، ثمَّ يخبرنا هو عن نفسه، من خلال تلاميذه، حتى يومنا هذا، من خلال كلمته المقدسة.

— د. جفري مور

عادةً ما يُحدِّد اللاهوت النظامي نوعين من إعلان الله اللذين أقرَّ بهما يسوع نفسه. النوع الأول عادةً ما يُطلق عليه الإعلان العامُّ أو الطبيعيُّ

الإعلان العام. ببساطة، يُشيرُ مُصطلحُ الإعلان العامُّ إلى التعليم الكتابيِّ القائل إنَّ الله أعلن عن نفسه للبشر من خلال كلِّ خبرة لهم في الخليفة. وتماشياً مع بعضِ نُصوص العهد القديم، مثل المزمور ١٩، استخلص يسوع نفسه في أحيانٍ كثيرة دُروساً لاهوتيةً من الإعلان العامِّ. فهو كثيراً ما استخدم الطبيعة والأنشطة البشرية الشائعة، مثل الزراعة والصيد، كي يُعلم عن الله. وفي واقع الأمر، كثيراً ما دعا تلاميذه إلى النظر بداخلهم ومن حولهم كي يتمكنوا من تمييز ما يستطيعون تمييزه عن الله من خبراتهم الحياتية.

نرى شيئاً مشابهاً في مواضعٍ مثل سفر أعمال الرسل ١٤: ١٧؛ ١٧: ٢٨. في هذه الأعداد، اتَّبع الرسول بولسُ مثالَ المسيح ولجأ إلى الإعلان العامِّ. فقد وجَّه أنظارَ الأمم إلى ما عرفوه عن الله من خلال التأمل في الطبيعة وفي الشعر اليوناني.

تُقدِّم رسالة رومية ١-٢ أكثر الشُّروحاتِ توسُّعاً عن الإعلانِ العامِّ في كلمةِ الله. فهذان الأصحاحانِ يلفتانِ الانتباهَ إلى الجانبينِ الإيجابيِّ والسُّلبِيِّ اللذينِ لا بدَّ أن نضعَهُما في اعتبارنا فيما ندرسُ العقيدةَ عن الله. من الجانبِ الإيجابيِّ، تُعلِّمُ رسالةُ رومية ١-٢ بأنَّه يُمكننا أن نتعلَّم عدَّةَ أشياءٍ من خلالِ خبراتنا الحياتيةِ في خليفةِ الله. استمعِ إلى ما قاله الرسولُ بولسُ في رسالةِ رومية ١: ٢٠:

لأنَّ أموره غيرَ المنظورةِ تُرى منذُ خلقِ العالمِ مُدركَةً بالمصنوعاتِ، قُدِّرتَه السُّرمديَّةُ ولاهوتُهُ (رومية ١: ٢٠).

حينَ ننظرُ نظرةً فاحصةً إلى هذينِ الأصحاحينِ، نرى أنَّ كلمةَ "المصنوعاتِ" تتعدَّى كونها مجردَ نظامِ الطبيعةِ. فما كانَ في ذهنِ بولسٍ أيضاً هو ما نتعلَّمُه عن الله من الثقافةِ البشريةِ، والبشرِ أنفسهم، وحتى من حياتنا الشخصيةِ الداخليةِ - أي ضمائرنا، ووجداننا، وهواجسنا، وما إلى ذلك.

أعتقدُ أنَّ الإعلانَ العامَّ يُعدُّ بالفعلِ مفهومًا لاهوتيًا هامًا، السببُ الأولُ في ذلكِ لأنه هو الشيءُ الوحيدُ الذي لا يمكنُ إنكاره. فإننا جميعًا، سواءً كُنَّا مؤمنين أو لا، نعيشُ في هذا العالمِ الذي خلقه اللهُ. وسواءً أقرَّ غيرُ المؤمنِ بهذا أو لا. لكننا في الخليفةِ، وفيما نطلقُ عليه "الإعلانَ العامَّ"، نرى الكثيرَ عن هويَّةِ الله فقط بالنظرِ إلى الخليفةِ. فإننا نرى أنَّ لدينا إلهًا قويًا من حقيقةِ خلقه للكون. وأنَّ لدينا إلهًا خبيرًا بالجمالِ، تَهَمُّهُ الأشياءُ الجميلةُ في الطبيعةِ. كما نرى هذا في الحيواناتِ، والأشجارِ، وفي غروبِ الشمسِ. ونرى صفاتِ الله وشخصيتهِ في كلِّ ما حولنا. يُمكنُ أن يكونَ لهذا أهميةٌ عظيمةٌ وخاصةً من المنظورِ الكرازيِّ، لأننا نحتاجُ إلى نقطةِ بدايةٍ، ويمدُّنا الإعلانُ العامُّ بهذه النقطةِ. فإننا نعلِّمُ أشياءً معيَّنةً عن العالمِ الذي نعيشُ فيه، وبالتالي عن الله الذي خلقه ببساطةٍ بالنظرِ حولنا.

— ق. ريك رودهيفر

على مدى قرونٍ، لعبَ هذا الجانبُ الإيجابيُّ من الإعلانِ العامِّ دورًا رئيسيًا في عقيدةِ الله في صورةِ "اللاهوتِ الطبيعيِّ". فإنَّ اللاهوتِ الطبيعيِّ هو السَّعيُّ المستمرُّ للتعلُّمِ عن الله من خلالِ الإعلانِ العامِّ. ولطالما أقرَّ أتباعُ المسيحِ بأنه يُمكنُ أن نتعلَّم الكثيرَ عن الله من خلالِ اللاهوتِ

الطبيعيّ. وفيما عدا استثناءاتٍ نادرة، تضمّنتِ الدراساتُ اللاهوتيةُ الرسميّةُ عن عقيدةِ الله، تقريباً في جميع أنواع الكنائس، اللاهوتَ الطبيعيّ.

لقد أسّسَ فلاسفةُ اللاهوتِ الأكاديميونَ من الرُّوَادِ في العصورِ الوُسطى استراتيجيّةً رسميّةً ثلاثيّةً للبحثِ في اللاهوتِ الطبيعيّ. أولاً، تحدّثوا عن "طريقةِ السببيّةِ" - أي *via causalitatis* باللُّغةِ اللاتينيةِ. والمعنيّ بها أنه يُمكنُ أن نتعلّمَ حقائقَ عن الله من خلالِ ملاحظةِ الأشياءِ الحسنَةِ التي خلقها الله أو "تسبّبَ في وجودها" في خليقتِهِ. على سبيلِ المثالِ، يُمكننا أن نرى أن الله خلقَ الجمالَ والترتيبَ في العالمِ. وبهذا نستنتجُ أن الله نفسه لا بدّ أنّه جميلٌ وأنه إلهُ ترتيبٍ.

ثانياً، تحدّثَ فلاسفةُ اللاهوتِ أيضاً عن "طريقةِ التباينِ" - أي *via negationis* باللُّغةِ اللاتينيةِ. وبهذا يعنونُ أنه يُمكنُ أن نستنتجَ حقائقَ عن الله من خلالِ تباينه مع محدودياتٍ ونقائصِ الخليقةِ. على سبيلِ المثالِ، الخليقةُ محدودةٌ بالزمنِ، لكنّ الله سرمدِيٌّ. الخليقةُ محدودةٌ بالمكانِ، لكنّ الله غيرُ محدودٍ.

وثالثاً، تحدّثَ الفلاسفةُ العلماءُ في العصورِ الوُسطى أيضاً عن "طريقةِ التسامي" - أي *via eminentiae* باللُّغةِ اللاتينيةِ. وبهذا يعنونُ أنه يُمكنُ أن نستنتجَ حقائقَ عن الله من الإعلانِ العامِّ من خلالِ ملاحظةِ أن الله دائماً أسمى من الأشياءِ الحسنَةِ التي خلقها. على سبيلِ المثالِ، تقوّدنا قوّةُ الطبيعةِ إلى الإيمانِ بالقوّةِ الأسمى لله. كما تُوجّهُ إمكانياتُ الإنسانِ الفكريةِ أنظارنا إلى حكمةِ الله التي لا مثيلَ لها.

في الأغلبِ، لا يتّبعُ الإنجيليونَ اليومَ هذه المنهجياتِ الدقيقةِ، لكنّ لا يزالُ اللاهوتُ الطبيعيُّ يلعبُ دوراً رئيسياً في العقيدةِ عن الله. فقد علّمَ يسوعُ أتباعَهُ بأنّ الله صمّمَ كلَّ بُعْدٍ من أبعادِ خبراتنا الشخصيةِ عن الخليقةِ كي يُعلِنَ أشياءَ عن نفسه. ولكوّننا شعبُ المسيحِ الأمانةَ، فلا بدّ أن نشاققَ كي نُفكّرَ عن كلّ ما يُمكنُ أن نتعلّمَهُ عن الله من خلالِ الإعلانِ العامِّ.

نُعدُّ هذه الجوانبُ الإيجابيةُ من الإعلانِ العامِّ واللاهوتِ الطبيعيِّ هامةً لأيّ دراسةٍ في العقيدةِ عن الله. لكنّ لا بدّ أيضاً أن نضعَ في اعتبارنا الكيفيّةِ التي بها يُقدّمُ أولُ أصحابين من رسالةِ روميةٍ أيضاً بعضَ الجوانبِ السلبيةِ المحوريّةِ. في روميةٍ ١: ١٨ سلّطَ بولسُ الضوؤَ على الجوانبِ الأكثرِ سلبيةً في الإعلانِ العامِّ حين كتب:

لأنّ غضبَ الله مُعلنٌ من السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فَجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمْ، الَّذِينَ يَحْجُرُونَ
الْحَقَّ بِالْإِثْمِ (رومية ١: ١٨).

في هذا العدد يشرح بولس أن الإعلان العام يُعلن عن "غضبِ الله"، وليس عن رحمته وخلصه. وهذا صحيح لأنَّ الخطاة في أغلب الأحيان "يَحْجِرُونَ الْحَقَّ" الخاصَّ بالإعلان العام "بالإنم". وفي الحقيقة، وَفَقًا لما جاء في رومية ١: ٢٥:

[الخطاة قد] اسْتَبَدَّلُوا حَقَّ اللَّهِ بِالْكَذِبِ (رومية ١: ٢٥).

وقد أشار يَسُوعُ نفسه مرةً تلوَ الأخرى إلى أنَّ البشرَ الخطاةَ كثيرًا ما يُخْفِقُونَ في تعلُّم ما ينبغي أن يتعلموه عن الله من خبراتهم الحياتية. وكما قال يَسُوعُ وبولس لنا، إنَّ الخطاةَ لديهم نزعة الكذب على أنفسهم وعلى الآخرين بشأن ما أعلنه الله من خلال خليقته.

أودُّ أن ننتبه جيدًا إلى ما يُمكننا تعلُّمه عن الله من خلال ما يُسمَّى باللاهوت الطبيعي. ولكم أودُّ أن أستند إلى تصريح كالذي جاء في رومية ١: ٢٠ الذي يتحدث عن عظمة الله، وقدرته. وأعتقد أن هذه هي الأشياء التي يمكن أن نستند عليها من حيث ما يمكن تعلُّمه. لكني أودُّ أن أقول على الفور إننا في حاجة ماسَّة إلى إعلان خاص كي نحصل على منظور سليم. ولهذا، فإنك في حاجة إلى إعلان خاص يفحص المنطق البشريَّ المستقلَّ. ذلك لأنَّ العالم المخلوق يقدم لنا بعض الأشياء التي يمكن أن نواجه مشكلات في قراءتها وفهمها. فالإعلان الخاص عن حقيقة الربِّ يَسُوعَ المسيح يقدم لنا تفاصيل دقيقة عن هوية الله. فإننا في حاجة ماسَّة إلى أخذ مشورة كلمته للحفاظ على فكرنا سليمًا.

— د. بروس فييلدز

تُعلمنا خليقة الله عدَّة أشياء، وبالطبع تُعلمنا في الأساس أنَّه هو الخالقُ صاحبُ السيادة. فإن الله هو من يأتي بكلِّ شيءٍ إلى الوجود من العدم، ولهذا فإنَّ الخليقة تُعلمنا أيضًا عن قدرته. وهي أيضًا وَفَقًا لرومية ١ تُعلمنا عن برِّه. فإننا نقرأ في رومية ١ أنَّ جميع البشر يعلمون بوجودِ إله، وأنَّه لا بدَّ أن يُعبد، وجميعهم لديهم وعي بربِّ الله وقداسته. ولكن ما نفعه كخطاة هو أننا نحجز ذلك،

أي نحاول تجاهله. وهكذا، فإنَّ الخليقة تُعلمنا أنَّ الله خالقٌ، وهو قديرٌ وبارٌّ. ولكننا نحن كبشرٍ خطاةٌ، نحاول إنكارَ وقوع تلك الأشياء. وهكذا، فإنَّ ما لا تُعلمنا الخليقةُ إياه عن الله هو كيفية إصلاحِ وضعنا معه. ولا تُعلمنا عن نعمة الله ورحمته في الربِّ يسوع المسيح. ولهذا لا بدَّ من وجود إعلانٍ إضافيٍّ عن ذلك في أعمالِ الله في الربِّ يسوع المسيح.

— د. كارل ترومان

تثير هذه الجوانب السلبية في الإعلان العام كلمة تحذير لازمة، حول الاعتماد بشكلٍ زائدٍ عن الحد، على اللاهوت الطبيعي. فالإعلان الطبيعي ليس معصومًا من الخطأ، لأن الخطية قد أفسدت قدرتنا على التعلُّم عن الله من خبراتنا عن خليقته. وعلى الرغم من أقصى الجهود التي بذلها علماء اللاهوت المسيحيين والمُخلصين، إلا أن اللاهوت الطبيعي كثيرًا ما أساء فهم الإعلان العام، وأدخل أكاذيب إلى مفهومنا عن الله.

على سبيل المثال، في أثناء العصور الآبائية والعصور الوسطى، قادت الصوفيَّة الهيلينية الوثنيَّة كثيرين إلى إنكارِ قدرة البشر على معرفة أيِّ شيءٍ عن الله نفسه. وفي القرن الثامن عشر، قاد سوءُ الفهم لنظام الطبيعة بعض اللاهوتيين إلى الموافقة على مذهب رُوبيَّة التَّووير - وهو الاعتقاد بأنَّ الله غير منخرطٍ في شئون العالم. وفي قرونٍ حديثة، قاد بعض الدراسات العلمية في علم الأحياء البشر إلى رفض الصورة الكتابية عن الله باعتباره الخالق. ففي جميع الأنحاء، قاد فساد القلب البشريِّ اللاهوتيين إلى أن يفوتهم الحقُّ المُعلن عن الله في الإعلان العامِّ.

بالطبع تفوُّد هذه الآراء السلبية عن اللاهوت الطبيعي إلى سؤالٍ رئيسيٍّ: إن كانت الخطية تُفسد درابنتنا بالإعلان العامِّ، فكيف لنا أن نعرف الحقَّ عن الله؟

للإجابة عن هذا السؤال، سوف ندرس النوع الثاني الرئيسيِّ من نوعي الإعلان الإلهيِّ. فبالإضافة إلى الإعلان العامِّ، علَّم يسوع أيضًا بأنَّ الله قد أعطانا إعلانًا خاصًا أو مُحددًا.

الإعلان الخاص. يُعدُّ الإعلان الخاصُّ بشكلٍ عامٍّ هو كشفُ الله عن نفسه من خلال وسائلٍ خارقةٍ للطبيعة. فقد أعطى الروح القدس الإعلان من خلال أحلامٍ، ورؤى، وأصوات، ومن خلال أعمالٍ خلاصه ودينونته العظيمة. كما أعلن الله عن نفسه من خلال مُمثِّلين بشريين أوجي إليهم - أي أنبيائه ورسله الذين أوجي إليهم بالروح القدس. وبالطبع، كما ذكرنا فيما سبق، كان الإعلان

الخاصّ الأعظم الذي قدمه الله هو في المسيح.

لَسْنَا نُعَالِي قَطُّ حِينَ نَقْرُ بِالْأَهْمِيَةِ الْعُظْمَى لِلإِعْلَانِ الْخَاصِّ بِالنَّسْبَةِ لِعَقِيدَةِ اللَّهِ. فَهَذَا الإِعْلَانُ لَازِمٌ جَدًّا لِإِتْمَامِ مَقَاصِدِ اللَّهِ حَتَّى أَنَّهُ قَبْلَ دُخُولِ الْخَطِيئَةِ إِلَى الْعَالَمِ، أَرشَدَ اللَّهُ آدَمَ وَحَوَاءَ مِنْ خِلَالِ إِعْلَانٍ خَاصٍّ شَفَهِيٍّ. وَبِالطَّبَعِ، كَانَ الإِعْلَانُ الْخَاصُّ أَيْضًا جَوْهَرِيًّا بَعْدَ الْخَطِيئَةِ. فَهُوَ لَا يُوجِّهُ مَحَاوِلَاتِنَا لَفَهْمِ الإِعْلَانِ الْعَامِّ فَحَسْبُ، بَلْ أَيْضًا يَكشِفُ وَسِيلَةَ الْخِلَاصِ الْأَبَدِيِّ بِقَدْرِ مَا يَبْدُو رَائِعًا أَنْ يُعْطِيَ اللَّهُ إِعْلَانًا فَائِقًا لِلطَّبِيعَةِ - قَبْلَ وَبَعْدَ دُخُولِ الْخَطِيئَةِ إِلَى الْعَالَمِ - لَكِنْ مَا نُطَلِّقُ عَلَيْهِ عَادَةً اسْمَ "الإِعْلَانِ الْخَاصِّ مِنْ اللَّهِ" قَدْ وَقَعَ مُنْذُ آلَافِ السَّنَوَاتِ. وَهَكَذَا، كَيْفَ لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ عَنِ اللَّهِ الْيَوْمَ مِنْ خِلَالِ الإِعْلَانِ الْخَاصِّ؟

مَرَّةً أُخْرَى، دَعَوْنَا نَتَّجِهْ إِلَى مَا عَلَّمَهُ يَسُوعُ، الإِعْلَانُ الْأَسْمَى لِلَّهِ. بِاخْتِصَارٍ، عَلَّمَ الْمَسِيحُ أَتْبَاعَهُ أَنْ يُكْرِسُوا أَنْفُسَهُمْ لِإِعْلَانِ اللَّهِ الْخَاصِّ فِي الْأَسْفَارِ الْمُقَدَّسَةِ. فَإِنَّ نُصُوصًا مِثْلَ إِنْجِيلِ مَرْقُسَ ١٢: ٢٨-٣٤ نَقُولُ بِوُضُوحٍ إِنَّ يَسُوعَ، مِثْلَهُ مِثْلُ الرَّابِّيِّينَ الْآخَرِينَ فِي فِلَسْطِينَ فِي عَهْدِهِ، أَكَّدَ عَلَى أَنَّ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ هُوَ إِعْلَانُ اللَّهِ الْخَاصِّ الْمَكْتُوبُ.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّ الْعَهْدَ الْجَدِيدَ هُوَ إِعْلَانُ اللَّهِ الْمَوْحَى بِهِ. فِي مَوَاضِعٍ مِثْلَ إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا ١٦: ١٢-١٣، وَرِسَالَةِ أَفْسَسَ ٢: ٢٠، نَتَعَلَّمُ أَنَّ يَسُوعَ بَعْدَ صُعودِهِ إِلَى السَّمَاءِ أَرْسَلَ الرُّوحَ الْقُدُسَ لِتَأْهِيلِ رُسُلٍ وَأَنْبِيَاءِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ كِي يُعْلِنُوا عَنِ اللَّهِ لِكَنِيسَتِهِ. فَإِنَّ الْعَهْدَ الْجَدِيدَ هُوَ الْمَجْمُوعَةُ الَّتِي تُمَثِّلُ الإِعْلَانَاتِ الْخَاصَّةِ لِرُسُلٍ وَأَنْبِيَاءِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ هُوَلاءِ. وَلِهَذَا يُصِرُّ الْمَسِيحِيُّونَ الْإِنْجِيلِيُّونَ عَلَى أَنَّنا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَسْتَدَ عَلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِتَمْيِيزِ إِعْلَانَاتِ اللَّهِ عَنِ نَفْسِهِ فِي كُلِّ مِنَ الإِعْلَانِ الْعَامِّ وَالِإِعْلَانِ الْخَاصِّ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ.

فِي دَرَسَاتِنَا عَنِ إِعْلَانِ اللَّهِ وَأَسْرَارِهِ، بَحَثْنَا فِي الإِعْلَانِ الإِلَهِيِّ بِاعْتِبَارِهِ مَصْدَرٍ كُلِّ مَا نَعْرِفُهُ عَنِ اللَّهِ. الْآنَ، دَعَوْنَا نَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْمَعَادِلَةِ. كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ تَوَثَّرَ الْأَسْرَارُ الإِلَهِيَّةُ - أَي الْأَشْيَاءُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي تَطُلُّ مُحْتَجِبَةً - عَلَى دَرَسَاتِنَا لِلْعَقِيدَةِ عَنِ اللَّهِ؟

الأسرار الإلهية

هناك شيء واحد نحتاج لاستيعابه جيدًا، وهذا ليس سهلًا، وهو: مَنْ هُوَ اللَّهُ حَقًّا. فهو سام، أي أنه يسمو فوق الخليقة. وكل ما نختبره هنا في العالم مخلوق من قبله، وهكذا فنحن لا يمكن أن نعرفه حقًا ما لم يعلن هو عن نفسه، وما لم يدخل

هُوَ إِلَى الْخَلِيقَةِ بِطَرِيقَةٍ مَا. فَهُوَ يَتَحَدَّثُ مَعَنَا، وَيُعَلِّنُ عَنِ نَفْسِهِ لَنَا، وَكَانَ الْإِعْلَانُ الْكَامِلُ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ. لَكِنْ هَذَا يَجْعَلُ مِنْهُ غَامِضًا. وَفِي الْحَقِيقَةِ، الْوَسِيلَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَعْرِفَ بِهَا مَلَكُوتَ اللَّهِ، وَمُلْكُهُ، وَحُكْمُهُ - إِذْ أَنَّهُ يَسْمَحُ أَنْ نَحْيَا هُنَا، وَإِذْ هُوَ إِلَهٌ غَيْرُ مَنْظُورٍ - هِيَ أَنْ يُعَلِّنَ هُوَ ذَلِكَ لَنَا.

— د. ريك بويد

كَمَا رَأَيْنَا، تَغْلَبَ اللَّهُ عَلَى الْمَسَافَةِ الشَّاسِعَةِ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَشَرِيَّةِ. فَجَعَلَ مَعْرِفَتَهُ مُمَكِّنَةً لَنَا مِنْ خِلَالِ إِعْلَانِهِ الْعَامِ وَإِعْلَانِهِ الْخَاصِّ. لَكِنْ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، تَتَأَثَّرُ مَعْرِفَتُنَا عَنِ اللَّهِ بِشِدَّةٍ بِالْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ. فَهَذَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَمْ يُعَلِّنْهَا اللَّهُ عَنِ نَفْسِهِ.

إِنَّ فَهْمَ الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ أَمْرٌ مِحْرَافِيٌّ لِلْغَايَةِ بِالنَّسْبَةِ لِلْعَقِيدَةِ عَنِ اللَّهِ، حَتَّى أَنَّهُ سَيَفِيدُنَا أَنْ نَدْرَسَهَا عَلَى خُطَوَتَيْنِ. أَوَّلًا، سَنَشْرَحُ الْمَفْهُومَ الرَّئِيسِيَّ لِلْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ. ثُمَّ سَنَتَنَاوَلُ أَنْوَاعَ الْأَسْرَارِ الَّتِي نَوَاجِهُهَا فِي أَثْنَاءِ دَرَسَتِنَا لِعَقِيدَةِ اللَّهِ. فَمَا هُوَ الْمَفْهُومُ الرَّئِيسِيُّ لِلْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ؟

المفهوم الرئيسي

نُسْتَحْدِمُ كَلِمَةَ "سِرٌّ" فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ بِطَرَائِقَ مُتَّوَعَةٍ، لَكِنْ لِتَحْقِيقِ غَرَضِ هَذِهِ الدَّرَاسَةِ نَقُولُ إِنَّ الْأَسْرَارَ الْإِلَهِيَّةَ هِيَ:

حَقَائِقُ لَا تُحْصَى، غَيْرُ مُعْلَنَةٍ عَنِ اللَّهِ، تَحْدُ مِنْ إِدْرَاكِهَا لَهُ.

وَسَوْفَ نَسَلِّطُ الضُّوْءَ عَلَى جَانِبَيْنِ مِنْ هَذَا التَّعْرِيفِ. الْجَانِبُ الْأَوَّلُ هُوَ حَقِيقَةُ أَنَّ الْأَسْرَارَ الْإِلَهِيَّةَ هِيَ "حَقَائِقُ لَا تُحْصَى وَغَيْرُ مُعْلَنَةٍ عَنِ اللَّهِ". وَفِي رِسَالَةِ رُومِيَّةِ ١١: ٣٣، يُشِيرُ الرَّسُولُ بُولُسُ إِلَى أَنَّهَا لَا بَدَّ أَنْ نَضَعُ فِي عَتَابِنَا دَائِمًا الْأَسْرَارَ الْإِلَهِيَّةَ. فَقَدْ كَتَبَ:

يَا لَعْنَةُ غِيِّ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقِهِ عَنِ الْاسْتَفْصَاءِ! (رُومِيَّةِ ١١: ٣٣).

وفي الأصحاحات التي قادت إلى هذا العدد، استخلص بولس العديد من المعتقدات الإيمانية الراسخة عن الله من خلال كل من الإعلان العام والإعلان الخاص. لكن في هذا النص، أشار بولس إلى "عمق" حكمة الله وعلمه. وقيل أن تكون أحكام الله "بعيدة عن الفحص" و"طُرْفُهُ بعيدة عن الاستقصاء". وبالرغم من فهم بولس للكثير عن الله من خلال الإعلان الإلهي، لكنّه مع ذلك ظلّ يواجه أسرارًا لا حصر لها، أشياء لم يعلنها روح الله.

يبدو الله غامضًا لأنّه يتجاوز أيّ فهم أو علم قد يكون لدينا. فهو أحيانًا بلّ ودائمًا ما يعمل دون استشارتنا، لكن أحيانًا نواجه صعوبة في تمييز الطرائق التي يعمل بها. كما أنّه غير مُدرك بمعنى أن لا أحد يمكنه أن يصل إلى نهاية معرفة الله، إذ يوجد ما لا بدّ أن يظلّ سرًا لأنّه هو الله وليس مخلوقًا. لكن لا يوجد في غموض الله ما يشكّل أزمة لنا بأية صورة. فإنّ غموض الله لا يعني عدم إمكانية الوصول إليه. ولا يعني أنّه لا يحبنا وأنه لا يمكننا أن نشعر بحبّه. بلّ في حقيقة الأمر، إن لم يكن الله غامضًا، فيمكننا أن نقول في يقين إنه لن يكون هو الله. فلماذا نرغب في إله ليس غامضًا؟ وهكذا فإننا نعرفه، لكن ليس بصورة مُطلقة، لكننا نعرفه بصورة صحيحة. نحن لا ندرّكه، لكننا نعرفه بما يكفي لنقول إننا نعرف الله وليس مجرد مبدأ فلسفيّ مبهم.

— د. ويليام إدجار

قام تشارلز هودج، أستاذ اللاهوت النظامي بكليّة لاهوت برينستون، الذي عاش من عام ١٧٩ إلى ١٨٧٨م، بإيجاز الأسرار الإلهية بشكلٍ لافتٍ للنظر. ففي المُجلّد الأول من مؤلّفه اللاهوت النظامي، الجزء ١، الفصل ٤ كتب هذا:

يُوجد في الله ما يتجاوز ما نعرفه عنه بصورة غير محدودة، بل وما نعرفه عنه بالفعل يُعدّ ناقصًا.

لقد أبدى هودج ملاحظتين صادمتين هنا. أولاً، أصرّ على أن ما هو صحيح عن الله "يتجاوز ما نعرفه بصورة غير محدودة". فلا توجد مجرد حفة من الأسرار، ولا حتى الكثير من

الأسرار، بل لأنَّ الله نفسه غير محدودٍ، تُوجدُ أسرارٌ تتجاوزُ بصورةٍ غيرِ محدودةٍ ما يمكنُ أن نتخيَّلهُ على الإطلاقِ. وقد شرح هودج أيضًا أن الأسرارَ الإلهيةَ تتجأح إدراكنا لدرجةٍ أنه حتَّى "ما نعرفه عن الله، يُعدُّ ناقصًا". بكلماتٍ أُخرى، لا يوجدُ شيءٌ واحدٌ نعرفه عن الله معرفةً كاملةً.

أحيانًا حينَ نسمعُ أحدَهُم يقولُ إنَّ اللهَ غيرَ مفهومٍ، نتفاعلُ بشكلٍ سلبيٍّ إلى حدِّ ما مع هذا - حسنًا، ألا يُمكنُنِي أن أعرفه؟ ألا يُمكنُنِي أن أنجحَ في هذا؟ بالطبع يُعدُّ الكتابُ المقدسُ إعلانَ الله عن نفسه، فهو قد أعلنَ عن نفسه حتَّى نتَمكَّنَ من معرفته بصورةٍ شخصيةٍ، وحتَّى ننجحَ في معرفة شيءٍ ما عنه. لكنَّ إن توقَّفتَ وفكرتَ في هذا الأمرِ، ستجدُ أنَّ اللهَ إن كانَ هو حقًّا الإلهَ غيرَ المحدودِ، فحينئذٍ لن يقدرَ ذهني الضعيفُ، بل وحتَّى أفضلُ العقولِ اللاهوتيةِ على الإطلاقِ، أن يدركهَ بالكاملٍ. فبطبيعةِ الأمرِ، إن تمكنتُ من فهمه وإدراكه، فسأكونُ بمثلِ عظمتِهِ. هذا مهمُّ جدًّا، فإنَّ إلهنا ليسَ إلهًا تافهًا، وهو ليسَ صغيرًا بما يكفي لأتمكَّنَ من وضعه بكلِّ ما فيه في ذهني أو في كتابٍ. نحنُ مُمتنُّونَ لأنه أعلنَ لنا القدرَ الكافيَ عن نفسه، وأنه دبرَ خلاصنا حتَّى ننجحَ في إدراكه بعضَ الشيءِ، وكي نحيا في شركةٍ معه، ونحيا معه باستقامةٍ، ونفكرَ فيه بطريقةٍ صحيحةٍ، وإن لم يكنْ على نحوٍ كاملٍ.

— د. جاريث كوكريل

بالإضافة إلى إدراكنا بأنَّ الأسرارَ الإلهيةَ لا تُحصَى، لا بدَّ أن نذكُرَ أيضًا جانبًا آخرَ هامًا من الأسرارِ الإلهيةِ. فإنَّ هذه الأسرارَ تُحدُّ من فهمنا بشدةٍ فيما ندرسُ العقيدةَ عن الله. تُوجدُ طرائقٌ مختلفةٌ تُحدُّ بها الأسرارُ الإلهيةُ ما نعرفه عن الله، لكنَّ في هذا الدرسِ، سنتناولُ طريقتينِ فحسبُ. فمن جهةٍ، نحنُ نملكُ معلوماتٍ محدودةٍ للغاية عن الله. فعلى الرَّغمِ من أن الله قد أوضحَ ما يلزمُ للخلاصِ وللحياةِ في المسيحِ، لكنَّ لا أحدَ مِنَّا في واقعِ الأمرِ يفهمُ الكثيرَ عن الله. تُخبرنا رسالةُ ١ كورنثوس ١٣: ١٢ بأننا ننظرُ "انعكاسًا باهتًا" من الحقِّ الإلهيِّ، وكأننا ننظرُ "في مرآة".

وهكذا، ففي المناقشاتِ حولَ عقيدةِ الله، تبرزُ أسئلةٌ لا حصرَ لها لا يمكنُ الإجابةَ عنها بالكاملٍ. على سبيلِ المثالِ، لماذا يسمحُ اللهُ بالشرِّ؟ وكيف يمكنُنا أن نميِّزَ مقاصدَ الله في الأحداثِ

الحالية؟ العديد من اللاهوتيين، وخاصة أولئك المحاطين بمتشككين، يرتكون في تخميناتٍ لأنهم لا يستطيعون الإقرار بأننا لا نملك جميع الأجوبة على مثل هذه الأسئلة. لكن الأسرار الإلهية عادةً ما تقود أتباع المسيح الأمانة للاعتراف قائلين: "لا أعرف". فحين يتعلّق الأمر بعقيدة الله، فإن لم يُعلن الله شيئاً، فإننا لا يمكننا أن نعرفه، ببساطةٍ شديدة.

كأتباع أمانة للمسيح، علينا ألا نهرب إطلاقاً من حقيقة أننا نملك معلومات محدودة عن الله. ففي الواقع، إنها لبركة أن نتذكّر لحظة بلحظة هذه المحدودية. فالأسرار الإلهية تدفعنا إلى الثقة بالله. ويجب أن نتكل على الآب وعلى المسيح، من خلال عمل الروح القدس، بدل أن نضع ثقفتنا في إمكانياتنا المحدودة لامتناك المعرفة عن الله.

ومن الجهة الأخرى، تعني الأسرار الإلهية أيضاً أن البشر قادرون على تقديم تفسيراتٍ محدودة عن إعلانات الله. نحن على صوابٍ في إصرارنا على أن إعلان الله للحق لا يناقض نفسه، وأن هناك العديد من الروابط المنطقية التي يمكننا أن نراها بين إعلانات الله. لكن سواء أقرزنا بهذا أو لا، فإن الأسرار الإلهية لا تحدّ فحسب من قدر المعلومات التي نملكها عن الله، بل أيضاً تحدّ من قدرتنا على تفسير الترابط المنطقي للكثير مما أعلنه الله عن نفسه.

على سبيل المثال، لا يمكننا أن نقدّم تفسيراً منطقياً شاملاً للثالوث – أي حقيقة أن الله واحدٌ وثلاثة. أيضاً لا يمكننا أن نفسر منطقياً جميع أبعاد حقيقة أن يسوع هو إله كامل وإنسان كامل. ولا يمكننا أن نوضح تماماً كيف يمكن لله أن يكون مطلق السيادة على شؤون البشر ومع هذا يحملنا مسؤولية أفعالنا. فقد حاولت أفضل العقول المسيحية الإجابة على هذه الأسئلة وعدة أسئلة أخرى شبيهة بها، لكنهم عجزوا عن إمدادنا بأي شيء يقترب من التفسيرات المنطقية والكاملة.

ففي النهاية، يمكن أن نقيدنا محاولة تفسير الترابط المنطقي لما أعلنه الله عن نفسه. ولكن هذه ليست الكيفية التي يمكننا بها تحديد إن كان شيء ما صحيحاً أم لا. فإن صحة أيّ ادعاءٍ لاهوتيّ تعتمد فقط على إن كان الله قد أعلنه في الإعلان العام أو الخاص، أم لا.

حين يقول اللاهوتيون إن الله غير مفهوم، فإن ما يُلحون إليه أو يقصدونه هو أن الله لا يمكن استيعابه وإدراكه في جوهره وكيانه الكامل من قبلنا نحن الكائنات المحدودة. فإن الله إذ هو غير محدود، من المستبعد أن نتمكن من استيعابه ومعرفته بالكامل. وأتذكّر هنا ما يقوله بولس في رومية ١١: ٣٣-٣٤، حين يتحدث عن علم وحكمة الله البعيدة عن الفحص. ولكن مع ذلك، فهو قد أمداً

بإعلانٍ كافٍ عن نفسه، يكفينا كي نُقبِلَ إلى الإيمان.

— ق. لاري كوكريل

كي نفهم معنى الأسرار الإلهية بشكل أفضل، فمنا بالتحدث عن المفهوم الرئيسي. والآن سيبيدنا أيضاً أن نتناول أنواع الأسرار الإلهية التي تظهر في المشهد فيما ندرس عقيدة الله.

الأنواع

يُمكننا التمييز بين نوعين من الأسرار. النوع الأول سنطلق عليه "الأسرار الوقتية". دعونا نلقي نظرة على ما نقصده بهذا.

الوقتية. إنَّ الأسرار الوقتية هي حقائق عن الله محجوبة عن البشر لفترة من الزمن، لكنّها تُعلن في مرحلة لاحقة من التاريخ. وغالباً ما يكشفُ الله ما كان قبلاً غامضاً من خلال الإعلان العام. فهو يستخدم العالم المادي، أو الثقافات البشرية، أو أشخاصاً آخرين، أو حتى تغييرات تُجرى بداخلنا كي يُعلن عن أسرارٍ وقتية.

وهناك شيءٌ شبيهٌ بهذا يخصُّ الإعلان الخاص. فإنَّ القراءة المتأنية للكتاب المقدس تُبينُ أنَّ إعلاناتِ الله الخاصة اللاحقة لم تُناقض قطُّ إعلاناتِهِ الخاصة السابقة لها. لكن من الواضح أيضاً أنَّ الله كان بمرور الوقت يكشفُ المزيد والمزيد عن نفسه. وهذا الكشفُ التدريجيُّ للإعلان الخاصُّ وُجد في كلِّ مرحلة من مراحل التاريخ الكتابي. بالتأكيد وقع أعظمُ كشفٍ للنقابِ عن الأسرار الإلهية في الإعلان الخاصِّ في المسيح. وكان هذا هو ما يدور في ذهن بولس حين كتب رسالة أفسس ١: ٩؛ ٣: ٣؛ ٦: ١٩. ففي هذه الأعداد، أشار بولس إلى سرِّ قصدِ الله الأزليِّ في المسيح. وأوضح أن هذا السرُّ قد ظلَّ مكتوماً حتى جاء زمنُ رُسُلِ وأنبياهِ العهد الجديد.

ولهذا، فكُلُّما أردنا التعلُّم عن الله، لا بدُّ لنا دائماً أن نفنِّس الإعلان الخاصِّ في العهد الجديد كي يوضِّح لنا الأسرار الوقتية الموجودة في العهد القديم.

أحياناً نستخدمُ اللفظة "غامضٌ" للتحدث عن الله لأننا لا نفهم ما يعملُه بالتحديد. لكن على الصعيد الآخر يستخدمُ العهد الجديد بشكلٍ عامِّ اللفظة "غامضٌ"، المشتقة من الكلمة اليونانية *mysterion* ليعني بهذا أن خطة الله الرحيمة

للخلاص التي تُعلنُ تدريجيًا هي شيءٌ لم يكن من الممكن أن نكتشفه من تلقاءِ أنفسنا. أي إنها سرٌّ من جهةِ أننا لم يكن بإمكاننا إدراكها إن لم يُعلنها الله لنا. وهكذا، فإنَّ الله يعلن عن خطته لنا في إعلانه الخاص. ولهذا ترون تلك الكلمة *mysterion* مُستخدمةً في رسالةِ أفسس وفي رسالةِ ١ كورنثوس. وهي تعني أنَّ الله يكشفُ تدريجيًا وببطءٍ عن إعلانه ويبين لنا كيف أنَّ الخلاص هو لليهود والأمم على حدِّ سواء، وأنه لكل من يقبل يسوع المسيح باعتباره المسيحًا.

— د. صامويل لامرسون

لكن لا بدُّ أن نتذكَّر أيضًا أننا وإن كنا مؤمنين العهد الجديد، لكن مع ذلك لم يُعلن الله لنا كلَّ سرٍّ وقيٍّ بعد. في رسالةِ ١ كورنثوس ١٣: ١٢، يُصيحُ بولس الأمر هكذا:

الآن أعرفُ بعضَ المعرفة، لكن حينئذٍ سأعرفُ كما عرفتُ (١ كورنثوس ١٣: ١٢).

فقط حين يأتي المسيحُ ثانيةً في المجد سيكشفُ هو كلَّ سرٍّ وقيٍّ. وحينئذٍ سنفهمُ الله وطرقه فهماً تاماً أكثر بكثيرٍ من اليوم.

كما رأينا فيما سبق، حين ندرسُ عقيدةَ الله، يواجهنا العديدُ من الأسرارِ الوقتية. لكن الكتاب المقدس يوضحُ أيضًا أننا لا بدُّ أن نتعاملَ مع أسرارٍ دائمةٍ في أثناءِ دراستنا للعقيدة عن الله.

الدائمة. الأسرارُ الدائمةُ هي حقائقٌ عن الله لن يدركها البشرُ قطُّ لأنَّ هذه الحقائقُ تفوقُ إدراكنا. في اللاهوت الكلاسيكي، تُعدُّ هذه الحقيقةُ هي غموضُ الله. فإننا يمكننا فهمُ بعضَ الأشياءِ عن الله حين يُعلن عنها بمفرداتٍ بشرية، لكننا لن نفهم قطُّ كلَّ شيءٍ عن أيِّ شيءٍ يخصُّ الله. نجدُ هذه الفكرةَ مُعبَّرًا عنها بوضوحٍ في سفرِ إشعياء ٥٥: ٨-٩، حيثُ كتبَ النبيُّ إشعياء الآتي:

لأنَّ أفكارِي لَيْسَتْ أَفْكَارِكُمْ، وَلَا طُرُقِكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لِأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الْأَرْضِ، هَكَذَا عَلَتِ طُرُقِي عَنِ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنِ أَفْكَارِكُمْ (إشعياء ٥٥: ٨-٩).

في هذه الأعداد، ذَكَرَ إشعياهُ شعبَ إسرائيلِ بأسرارِ اللهِ الدائمةِ الناجمةِ عن غُموضِ اللهِ.

حينَ يُشيرُ الكتابُ المقدسُ إلى اللهِ باعتبارهِ غامضًا، فإننا لا بدَّ أن نتأكدَ من أننا لم نُسئِ فهمَ كلمةِ "سِرِّ". فحينَ أفكَّرُ في أن بعضَ الأشياءِ في هذا العالمِ غامضةٌ، فإننا أعتقدُ بأنَّ بها بعضَ الأسرارِ المُعتمَدةِ التي ستفاجئني في وقتٍ ما. لكنَّ هذا ليسَ الحالُ هنا. فإننا نَعني بكلمةِ "غامضٍ" أن اللهَ غيرَ مُدرِكٍ. ونَعني أن له حياةً فوقَ تخيلاتنا. ولا نستطيعُ استيعابهَ كاملاً. فإنَّ هذا يعني أنه يسمو فوقَ حياتي المخلوقةِ. وأنه أعظمُ مما يمكنُ أن أتخيلَ على الإطلاقِ. فإنَّ الكلمةَ اللاهوتيةَ التقنيَّةَ التي نستخدمُها للتعبيرِ عن هذا هي "التَّسامي". فإنَّ اللهَ سامٍ. وهو يفوقُ مجالَ تفكيرنا. ولهذا هو يستحقُّ العبادةَ. ولهذا هو عظيمٌ. ولهذا نُحِبُّه.

— چاري بورج

يرجعُ غموضُ اللهِ جزئياً إلى طبيعةِ شخصيتهِ، وإلى عدمِ محدوديتهِ، وإلى قُوتهِ وفهمه غيرِ المحدودينِ، في مُقابلِ محدوديتنا، وقصورنا. لكنَّ هذا الغموضُ أيضاً مُرتبطٌ بشكلٍ خاصٍّ بمقاصدهِ وخُططهِ في الخليقةِ. لم يُجرِ اللهُ طُرُقَهُ على هذا النحوِ وليسَ ذلك؟ وفي كثيرٍ من الأحيانِ، أعتقدُ أننا كبشرٍ مُتغَطرسينَ، نُحِبُّ أن نَظُنَّ أنه بإمكاننا أن نُجريَ الأشياءَ بشكلٍ أفضلَ من اللهِ. لكنَّ بشأنِ غموضِ اللهِ، يقولُ الكتابُ المقدسُ على سبيلِ المثالِ في تثنية ٢٩: ٢٩ إنَّ السرانِرَ هي للربِّ وحدهُ، أما المُعلَنَاتُ فهي تلكَ الأشياءِ التي يمكننا أن نتهلَّلَ ونبتَهجَ بها. وهذا يُوحى بأننا لا بدَّ أن نقبلَ أن اللهَ لم يُخبرنا بكلِّ شيءٍ عن نفسه. وكيف له أن يفعلَ هذا؟ وكيف لنا أن نفهمَ هذا؟ لكنَّهُ أيضاً لم يخبرنا بكلِّ شيءٍ عن كيفيةِ تنفيذِهِ لمقاصدهِ وخُططهِ. ولا أحدٌ يعلمُ هذا أفضلَ من أيوبَ في العهدِ القديمِ الذي أرادَ أن يحصلَ على جوابٍ لأسئلتهِ بشأنِ أسبابِ سماحِ اللهِ بما حدثَ له، لكنَّ اللهَ لم يُعطِهِ الجوابَ الذي أرادَهُ. بل كان جوابُ اللهِ هو: "أنا أعلمُ ما أنا فاعلُهُ، وهناك غموضٌ إلى حدِّ ما في خُطتي أنا وحدي من يُمكنُهُ تفسيرُهُ، وفي نهايةِ الأمرِ، سترى أخيراً وتدرِكُ حينَ يصيرُ فجأةً لكلِّ شيءٍ معنىً منطقيً وكاملٍ.

— ق. د. لويس وينكلر

ونحن نبدأ هذه السلسلة حول ما نعرفه عن الله، لا بد أن نتذكر دائماً أنه في حين أن الله أعلن عن نفسه في كل من الإعلان العام والإعلان الخاص، إلا أنه أبقى أسراراً مؤقتة ودائمة مخفية عنا. فنحن ببساطة لا يمكننا الهروب من حقيقة أننا مخلوقات سيظل إدراكها عن الله محدوداً للغاية. حتى الآن في هذا الدرس عن موضوع ما الذي نعرفه عن الله، بحثنا في بعض الطرائق التي من خلالها يُشكّل الإعلان والأسرار الإلهية دراسة العقيدة عن الله. والآن، صرنا مُستعدين لتقديم الموضوع الرئيسي الثاني: صفات وأعمال الله. يُمثّل هذان الموضوعان اثنتين من الطرائق الرئيسية التي أوجز بها اللاهوتيون الكلاسيكيون ما يمكن أن نعرفه عن الله.

الصفات والأعمال

بالإضافة إلى صفات الله وأعماله، اعتاد علماء اللاهوت النظامي أيضاً أن يُولوا قدرًا كبيرًا من الاهتمام لعقيدة الثالوث في دراسة العقيدة عن الله. ونحن نتناول عقيدة الثالوث القدوس ببعض التفصيل في سلسلتنا عن قانون إيمان الرسل. ولكن، سنقوم بالتركيز في هذه السلسلة فقط على هذين الموضوعين الرئيسيين.

في دروس لاحقة، سنبحث في عدة سمات تخص صفات وأعمال الله، لكن في هذه المرحلة سنقوم فقط بتقديم كل مفهوم. أولاً، سنتناول الصفات الإلهية، أو مَنْ هو الله. وثانياً، سنتجه إلى الأعمال الإلهية، أو ما الذي يعمّله الله. دعونا نبدأ بالصفات الإلهية لله.

الصفات الإلهية

سيُفيدنا أن نُقدّم موضوع الصفات الإلهية في خطوتين. سنبدأ من المفهوم الرئيسي لصفات الله. ثم سندرس معاً أنواع الصفات الإلهية التي غالباً ما يتمّ تحديدها في اللاهوت النظامي. إذن، ما هو المفهوم الرئيسي للصفات الإلهية؟

المفهوم الرئيسي

إن سألنا معظم المؤمنين هذا السؤال: "ما هي صفات الله؟"، فغالباً سيجيبوا إن صفات الله هي جميع الخصائص أو السمات التي ينسبها الكتاب المقدس لله. ومع أن هذا المفهوم جيد إلى حدٍ

ما. لكن تقليدياً في اللاهوت النظامي، تعني عبارة "صفات الله" شيئاً أكثر تحديداً. في اللاهوت النظامي، الصفات الإلهية هي:

كَمالاتُ جوهرِ الله المُعلنةُ من خلالِ مظاهرٍ تاريخيةٍ متنوعةٍ.

يُسلطُ هذا التعريفُ الضوءَ على عاملين رئيسيين يُميزانِ الدراساتِ الرسميةِ في صفاتِ الله. في المقامِ الأولِ، صفاتُ الله هي "كَمالاتُ جوهرِ الله". ولأنَّ الإنجيليينَ في العصرِ الحديثِ لا يُشيرونَ كثيراً إلى جوهرِ الله، لذا، سيفيدُنَا أن نبحثَ في هذا المفهومِ بعضَ الشيءِ.

في البداية، كلمةُ "جوهرٌ" هي كلمةٌ مترجمةٌ عن اللفظِ اللاتينيِّ *essentia*، والذي يَعني "جوهرٌ" أو "كيانٌ". في اللاهوتِ اللاتينيِّ، جوهرُ الله أيضاً مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بلفظةِ *substantia* أو "كينونةٍ". وقد تبنَّى اللاهوتيونَ الآبائيونَ ولاهوتيوُ العصورِ الوسطى هاتينِ اللفظتينِ من فلسفاتِ الأفلاطونيةِ الحديثةِ وفلسفةِ أرسطو. وقد تناولَ أفلاطونُ وأرسطو فكرةَ الجوهرِ بطرائقٍ مختلفةٍ. كما برزتْ بعضُ التعقيداتِ الهامةِ في مفهومِ الجوهرِ في الفلسفةِ الحديثةِ. لكنَّ الفكرةَ الرئيسيةَ ليست عسرةَ الفهمِ.

بمُفرداتٍ بسيطةٍ، يُعدُّ "جوهرٌ"، أو "كيانٌ"، أو "كينونةٌ" شيءٍ ما هي الحقيقةُ غيرُ المتغيرةِ التي تكمنُ وراءَ كلِّ المظاهرِ الخارجيةِ والمتغيرةِ لهذا الشيءِ. وقد استخلصَ اللاهوتيونَ المسيحيونَ فكرةَ الجوهرِ هذه في أثناءِ دراستِهِم لصفاتِ الله أو كَمالاتِهِ.

بوجهِ عامٍّ، يشتملُ جوهرُ الله على أربعةِ تمايزاتٍ هامةٍ: جوهرِ الله، أي مَنْ هو الله في ذاته، وكَمالاتِ الله أو صفاتِهِ، أي سماتِ جوهرِ الله، والاستعلاناتِ التاريخيةِ طويلةِ الأمدِ لله، أي كَشْفِهِ عن نفسه على مدى فتراتٍ طويلةٍ من الزمنِ، وأخيراً الاستعلاناتِ التاريخيةِ قصيرةِ الأمدِ لله، أي كَشْفِهِ عن نفسه على مدى فتراتٍ قصيرةٍ نسبياً من الزمنِ.

كي نُوضِّحَ ما نقصدهُ هنا، دعونا نفكِّرُ في هذه التمايزاتِ باستخدامِ مثالٍ عن شخصٍ. سنقولُ إنَّ هذا الشخصَ مُرنمٌ منفردٌ في الكنيسةِ في أيامِ الأحادِ. كما أنه مُزارعٌ يحلبُ الأبقارَ مرتينِ في اليومِ في مزرعتهِ. وهو أيضاً زوجٌ وجَدُّ. وبالطبع، كمؤمنينَ، نعلمُ أنه أيضاً صورةُ الله، ومُعَيَّنٌ ليكونَ مُمثلاً لله وخادماً له.

بعضُ الحقائقِ التي نعلمُها عن هذا الرجلِ تشيرُ إلى استعلاناتِ تاريخيةٍ قصيرةِ الأمدِ عن شخصيتهِ. هذه الأشياءُ تُعدُّ صحيحةً عنه بينَ الحينِ والآخرِ. فهو مُرنمٌ منفردٌ في الكنيسةِ، لكن فقط

في أيام الآحاد. وهو يَحْلِبُ الأبقارَ، لكنْ فقط مرتينِ في اليوم. وبينما هذه الأوصافُ تنطبقُ عليه، لكنها لا تشيرُ إلى جوهره. بل هو يظلُّ الرجلُ نفسه حينَ يقومُ بهذه الأعمالِ أو لا يقومُ بها. بعضُ هذه الأوصافِ تشيرُ إلى استعلاناتٍ تاريخيةٍ طويلةٍ الأمدِ نسبيًا عن شخصيةِ هذا الرجلِ. فهو زوجٌ وِجْدٌ. وهذه الأوصافُ تنطبقُ عليه لفتراتٍ أطولٍ من الزمنِ، لكنها ليست جوهريةً بالنسبةِ لهويَّةِ هذا الرجلِ. فهو لم يَكُنْ دائمًا أبًا أو جدًا. لكنه كان دائمًا الرجلَ نفسه. وحينَ نتحدثُ عن هذا الرجلِ باعتباره صورةَ الله، مُعيَّنًا ليكونَ ممثلًا لله وخادمًا له، فإننا نتحدثُ هنا عن صفاتٍ دائمةٍ في جوهره، أي سماتٍ بشريةٍ. فبِعَضِّ النظرِ عما يحدثُ في هذه الحياة، تظلُّ هذه الأوصافُ تنطبقُ عليه.

لكنْ إن لزمَ أن نجمعَ كلَّ ما نعرفُه عنه، بما في ذلك صفاته الدائمة، فإننا سنُدرِكُ أننا لا نحصلُ سوى على لمحاتٍ عن جوهره. فإن جوهرَ هويَّةِ ذلك الرجلِ يظلُّ صعبَ المنالِ، دائمًا يفوقُ استيعابنا الكاملِ.

يقومُ علماءُ اللاهوتِ النظاميِّ بوضعِ تمايزاتٍ مشابهةٍ في العقيدة عن الله بعدة طرائق. فكما نعلمُ جميعًا، يحظرُ الكتابُ المقدسُ أن نصنعَ آيةَ صوَرٍ لله. لذا، فلنَ نحاولُ تصويرَ الله نفسه هنا. لكنْ لمساعدتنا على فهمِ جوهرِ الله سنستخدمُ تشبيهاً. حاولَ تخيلَ غيمةٍ مُبهمةٍ في الفضاءِ الخارجيّ وكأنها تمثلُ جوهرَ الله. وتحيطُ بهذه العمامةِ نوافذُ ذاتِ زجاجٍ ملونٍ تمثلُ صفاتٍ أو كمالاتِ جوهرِ الله. وبعدَ هذا، تخيلَ أنظمةً من النجومِ والكواكبِ تمتدُّ من هذا الشكلِ وتمثلُ الاستعلاناتِ طويلةِ الأمدِ عن الله. وأخيرًا، تخيلَ أنظمةً أبعدَ من النجومِ والكواكبِ تمثلُ الاستعلاناتِ قصيرةِ الأمدِ عن الله. هذه التمايزاتُ بينَ جوهرِ الله، وصفاته، واستعلاناته طويلةِ الأمدِ، وتلكَ قصيرةِ الأمدِ في التاريخِ هي تمايزاتٌ محوريةٌ في الدراساتِ عن عقيدةِ الله في اللاهوتِ النظاميِّ الكلاسيكيِّ.

استمعَ إلى الفقرةِ الأولى من إقرارِ إيمانِ أوجسبرج اللوثريِّ، الذي كُتِبَ في عام ١٥٣٠ م، والذي يُشبهُ التعاليمَ المختصةَ بجوهرِ الله في الفقراتِ التسعةِ والثلاثينِ للإيمانِ الأنجليكانيِّ، والفقراتِ الخمسةِ والعشرينِ للإيمانِ الوسليِّ الميثوديِّ:

يُوجدُ جوهرٌ إلهيٌّ واحدٌ وهو اللهُ: سرمدِيٌّ، دونَ جسدٍ، دونَ أجزاءٍ، له قوةٌ وحكمةٌ
وصلاخٌ غيرَ محدودينَ، وهو خالقٌ وحافظٌ كلِّ الأشياءِ، ما يرى وما لا يرى.

كما نرى هنا، يُشيرُ إقرارُ الإيمانِ بوضوحٍ إلى "الجوهرِ الإلهيِّ الواحدِ". في الواقعِ، إن جوهرَ

الله هو الحقيقة غير المتغيرة التي تكمن وراء الطرائق المتنوعة التي بها أظهر الله نفسه عبر التاريخ. للأسف، قبل عصر الإصلاح، اتبع الكثير من اللاهوتيين الذين كانوا ميالين للتصوف المسيحي الفلسفات الهيلينية، واستخلصوا من ذلك أن جوهر الله يكتنفه الغموض. وبحسب هذا الرأي، تُخبرنا إعلانات الله بالقدر الضئيل، أو لا تخبرنا بشيء على الإطلاق، عن هذا الجوهر السردي. فهي لا تخبرنا سوى عن المظاهر الثانوية، والمتغيرة، والزمنية فيه. أما الآن، فإن الإنجيليين يؤمنون بأنه يوجد في جوهر الله ما هو أكثر على نحو غير محدود مما يمكننا معرفته، لكن على الرغم من هذا، لازالوا يُصرون على أن الله قد أعلن بالفعل بعض الصفات، أو الخصائص، في جوهره الإلهي. هذا الاعتقاد يتبع بوضوح تعاليم الكتاب المقدس.

أنظر ثانية إلى الفقرة الأولى من إقرار إيمان أوجسبرج. فبعد ذكر "جوهر إلهي واحد" مباشرة، يتجه الإقرار إلى بعض الخصائص أو السمات لجوهر الله. فإن الله "سرمدي، دون جسد، دون أجزاء، له قوة وحكمة وصلاح غير محدودين". هذه الصفات عن الله - هذه الخصائص السرمديّة وغير المتغيرة - تميز جوهر الله.

في بعض الأحيان، أشار كتبه الكتاب المقدس بوضوح إلى كمالات الله السرمديّة والجوهريّة. على سبيل المثال، يقول المزمور ٣٤: ٨: "مَا أَطْيَبَ الرَّبِّ" بمعنى (الرّب صالح). كما كتب بولس في الرسالة ١ تيموثاؤس ١: ١٧ أن الله "أزلي" (ترجمة كتاب الحياة). وحين ندرس كل الكتاب المقدس، يتضح أنه بغض النظر عما يقوله الله أو يعمل في أي موقف، وبغض النظر عن التنوع الذي يُظهره، فهو دائماً طيب (صالح) وهو دائماً أزلي. ويمكن أن نقول الشيء ذاته بشأن ما يُعلمه الكتاب المقدس عن عدم محدودية الله، وقداسته، وعدله، وحكمته، وغموضه، وقدرته الكلية، وبعض الصفات الإلهية الأخرى. فهي جميعها سمات دائمة في جوهره الإلهي تشير إليها الأسفار المقدسة بوضوح.

إن صفة الله هي تلك الصفة المتأصلة في الله ذاته، والتي تجعل الله هو الله. يمكنك أن تطلق عليها طبيعته، أو كينونته. فهي تلك الحقيقة التي يشترك فيها كل من الآب، والابن، والروح القدس معاً اشتراكاً تاماً. وهكذا، فهي تميز الله، من عدة أوجه، عنا نحن المخلوقات المحدودة. ولهذا، هي التي تُعرف وتحدد "الوهية" الله.

— د. سكوت هوريل

لكن دعونا الآن نلقي نظرةً أخرى على تعريفنا للصفات الإلهية. فإلى جانب كونها كمالات جوهر الله، فإنها أيضاً مُعلنةٌ من خلال استعلاناتٍ زمنيةٍ متنوعةٍ.

كما ذكرنا لتونا، فإن الكتاب المقدس أحياناً ما يشير بشكلٍ مباشرٍ إلى صفات الله السرمديّة. لكن، في أغلب الأحيان، هو يُظهر صفات الله بشكلٍ غيرٍ مباشرٍ من خلال أوصافٍ، وأسماءٍ وألقابٍ، وصُورٍ بلاغيةٍ وتشبيهاتٍ، وتقاريرٍ عن أعماله في الزمن. لا يوجد استعلانٌ من هذه الاستعلاناتِ مناقضٌ لجوهره - فالله دائماً ما يُظهر نفسه بطرائقٍ تتطابقُ مع مَنْ هو في الحقيقة - لكن في اللاهوت النظامي، ليست صفات الله هي نفسها استعلاناته. بل، إننا نحدد صفات الله بأن نسأل: "ما الذي لا بدّ أنه كان دائماً ينطبقُ على الله، وما الذي لا بدّ دائماً أن ينطبقَ عليه والذي يفسرُ كلَّ الطرائق التي بها أعلنَ عن نفسه في الزمن؟"

لا بدّ أن نحترس في هذا جيداً. في الأغلب ليس من الصعب الحفاظ على هذا التمييز بين صفات الله واستعلاناته حين نتناول الأمور التي تنطبقُ على الله لفتراتٍ قصيرةٍ نسبياً من الزمن. على سبيل المثال، في سفر حزقيال ٨: ١٨، قال الله إنه لن يسمع صلوات شعبه. لكن من الواضح أننا لا ينبغي أن نقول إن جوهر الله هو رفض الاستماع للصلوات. ففي العديد من المواضع الأخرى، نُخبرنا الأسفار المقدسة أن الله يسمع بالفعل للصلوات. هذان الوصفان عن الله كلاهما استعلانٌ زمنيٌّ صحيحٌ لمن هو الله في أزمنةٍ معينةٍ. لكن ليس أيٌّ منها سمةٌ تميّز جوهره. بل صفات الله هي تلك الكمالات السرمديّة في جوهره التي تنطبقُ عليه حين يسمعُ وحين لا يسمعُ للصلوات.

وبالمقابل، من الأصعب التمييز بين صفات الله واستعلاناته الزمنية حين تدوم لفتراتٍ من الزمن طويلةً نسبياً. على سبيل المثال، ربما نميلُ إلى الاعتقاد بأن الصبر هو صفةٌ من صفات الله لأنه أبدى صبراً تُجاه الخطاة جيلاً بعد جيلٍ. لكن، كما نعلم من الكتاب المقدس، أن صبر الله ينفدُ مع أناسٍ مختلفين في أزمنةٍ مختلفةٍ من التاريخ. وهو أيضاً سينفدُ مع جميع الخطاة في الدينونة الأخيرة حين يأتي المسيح ثانيةً في مجدٍ. وهكذا، فمن الناحية النقيّة للاهوت النظامي، فحتى شيءٌ طويلٌ الأمدٍ مثل الصبر الإلهي هو ليس صفةً سرمديّةً في جوهر الله.

سوف نتعرّف على هذا التباين بأكثر تفصيلاً في دروسٍ لاحقة. لكن في هذه المرحلة، لا بدّ أن تكون الفكرة الرئيسية واضحةً. يُعلن الله عن نفسه لأمدٍ قصيرٍ ولأمدٍ طويلٍ بطرائقٍ معينةٍ في التاريخ. لكن صفات الله هي تلك الخصائص الإلهية التي تميّز الله والتي كانت دائماً تنطبقُ عليه، وستظلُّ تنطبقُ عليه إلى الأبد.

مع وضع الصفات الإلهية وهذا المفهوم الرئيسي في الاعتبار، لا بدّ أن نتّجه إلى موضوع

آخر: الأنواع المختلفة لصفات الله. كيف حدّد اللاهوتيون وصنّفوا كمالات جوهر الله؟

الأنواع

لأنّ الكتاب المقدس لا يحدّد بوضوح جميع صفات الله، ولأنه لا يصنّفها لنا، قام علماء اللاهوت بتقسيم كمالات الله بطرق مختلفة. فصنّف العديد من العلماء صفات الله على النحو الذي ذكرناه سابقاً في هذا الدرس: "طريقة السببية"، "طريقة التباين"، و"طريقة التسامي". ويوجد أسلوب آخر شائع لتصنيف صفات الله مؤسس على مفاهيم معاصرة عن البشر باعتبارهم صورة الله. وبحسب هذا الاتجاه، يكون من الشائع الحديث عن كمالات الله باعتبارها "كيانه"، "فكره"، "مشيئته"، و"خصائصه الأدبية". ولا يُعتبر أي نظام من أنظمة التصنيف هذه أفضل من الآخر. لكننا نحتاج أن نضعها في اعتبارنا لأنها تظهر بين الحين والآخر، سواء بوضوح أو ضمناً، في أثناء حديث علماء اللاهوت عن صفات الله.

في الغالب، فضّل الإنجيليون تقسيم كمالات الله إلى نوعين رئيسيين من الصفات. النوع الأول يُطلق عليه صفات الله غير القابلة للمشاركة، والنوع الثاني يُشار إليه بأنه صفات القابلة للمشاركة. دعونا نفحص المقصود من كلا هذين القسمين، بدءاً من صفات الله غير القابلة للمشاركة.

غير قابلة للمشاركة. أشار لاهوتيون بارزون في غالبية الأحيان إلى قصور هذا التصنيف الثنائي، وسننظر معاً إلى بعض من هذه القضايا في الدروس التالية. إلا أنّ هذا التقسيم يظل وسيلة شائعة للحديث عن كمالات جوهر الله.

يعني اللفظ "غير قابلة للمشاركة" أنها صفات "لا يمكن المشاركة بها". وهكذا، فإنّ صفات الله غير القابلة للمشاركة هي تلك الكمالات في جوهره التي لا يمكن للخليفة - بما في ذلك البشر باعتبارهم صورة الله - الاشتراك فيها معه. وبهذا، فإنّ الصفات غير القابلة للمشاركة تقريباً تتعلّق بكمالات الله التي نحدّدّها من خلال "طريقة التباين". تُسلط هذه الصفات الضوء على مدى اختلاف الله عن خليقته.

كما رأينا فيما سبق، تُشير الفقرة الأولى من إقرار إيمان أوجسبرج إلى ست صفات لله. فهو سرمدّي، دون جسد، دون أجزاء، له قوة غير محدودة، وحكمة غير محدودة، وصلاح غير محدود.

وعلى الرّغم من أن هذا يُعدُّ إفراطاً منا في تبسيط الأمر، إلا أنه من الشائع بالنسبة لصفات الله غير القابلة للمشاركة أن تكون مرتبطةً بمصطلحاتٍ مثل سرمدِيّ، ودونَ جسدٍ، ودونَ أجزاء، وغير محدودٍ. فإن الله سرمدِيّ، أما نحنُ فزمنيين. وهو دونَ جسدٍ، أما نحنُ فلنا أجساداً. هو لا يتجزأ، أما نحنُ فمقسّمونَ إلى أجزاء. هو غيرُ محدودٍ، أما نحنُ فمحدودونَ.

كي يتواصلَ اللهُ معنا بمفرداتٍ بشريّةٍ، يُشبهُ الكتابُ المقدسُ أحياناً صفاتهُ بصفاتِ الخليقةِ في تشبيهاتٍ باهتةٍ وإيجابيةٍ. ومع ذلك، ودون شكّ، تُعدُّ الوسيلةُ الرئيسيّةُ التي بها يشرُحُ الكتابُ المقدسُ صفاتِ الله هي من خلالِ المقابلةِ بينَ مَنْ هو اللهُ وما هي خليقتُهُ. ونتيجةً لهذا، لا يدعُو الكتابُ المقدسُ البشرَ أن يُحاكوا الله في هذه الأشياءِ. فإننا لا نُوصى بأن نُحاولَ أن نكونَ سرمديينَ، ودونَ أجسادٍ، ودونَ أجزاء، أو غيرَ محدودينَ. بل على النقيضِ، يدعُونَا الكتابُ المقدسُ إلى الإقرارِ بصفاتِ الله هذه في عبادةٍ مُتضعَةٍ وفي حَمْدٍ لأجلِ مقدارِ اختلافِهِ عَنَّا. بوضعِ هذه الفكرةِ عن صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ في اعتبارنا، دعُونَا نتناولُ النّوعَ الثاني من صفاتِ الله: صفاتِ الله القابلةِ للمشاركةِ.

القابلة للمشاركة. من بين الصفاتِ المذكورةِ في الفقرةِ الأولى من إقرارِ إيمانِ أوجسبرج، عادةً ما تتعلّقُ الصفاتُ القابلةُ للمشاركةِ بالقوّة، والحكمة، والصلاح. إن لفظةً "قابلةً للمشاركةِ" تعني أن شيئاً ما يمكنُ المشاركةِ به. وفي هذه الحالة، فنحنُ نشيرُ إلى حقيقةٍ أنّ البعضَ من كمالاتِ الله السرمديةِ يتم مشاركتُهُ مع خليقتِهِ، وخاصةً مع البشرِ باعتبارِهِم صورةً اللهُ. فالبشرُ لديهمُ قوّة، وحكمة، وصلاحٌ - بصورةٍ ناقصةٍ وعلى مستوى بشريٍّ - لكننا مع ذلكَ نمتلكُ هذه الصفاتِ.

والوسيلةُ الرئيسيّةُ التي بها نفهمُ صفاتِ الله القابلةِ للمشاركةِ هي بالتشبيهِ أو المقارنةِ. وفي هذا، فإن الصفاتِ القابلةِ للمشاركةِ تتعلّقُ تقريباً بتلكَ الصفاتِ التي حدّدها اللاهوتيونَ الأكاديميونَ في العصورِ الوسطى من خلالِ "طريقةِ السببية"، وأيضاً "طريقةِ التسامي". وفي كلِّ الكتابِ المقدسِ، نُوصى ليسَ بأن ننبهرَ بهذه الصفاتِ الإلهيةِ فحسب، بل أيضاً أن نُحاكيها. فإننا ينبغي أن نُشابهَ الله أكثرَ فأكثرَ في ممارستنا للقوّة. وعلينا أن نقنّدي به بأن نُنمّي الحكمةَ والصلاحَ في حياتنا ونُظهرهما. هناكَ العديدُ من الأشياءِ التي يلزمنا أن نذكّرها عن هذينِ القسمينِ من كمالاتِ الله. وسنكتشفُ في دروسٍ لاحقةٍ من هذه السلسلةِ المزيدَ عن معناهما وأهميتهما. لكن في هذه المرحلة، سنكتفي بأن نضعَ في اعتبارنا أنّ واحدةً من أكثرِ الطرائقِ الشائعةِ لتمييزِ كمالاتِ الله عن بعضها

هي بتقسيمها إلى صفاته غير القابلة للمشاركة أو القابلة للمشاركة.

من المهم بالنسبة للذين يدرسون اللاهوت النظامي أن يدركوا إلى حد ما الفرق بين صفات الله غير القابلة للمشاركة وتلك القابلة للمشاركة، لأننا لا بد أن نفهم ما الذي يجعلنا مختلفين. فإن الله شخص آخر تمامًا، وهو متميز عن خليقته، ومع ذلك نحن مخلوقون على صورة الله. وهكذا من المهم أن ندرك الأشياء التي تُشابه الله فيها لكوننا على صورته، والأشياء التي لا تشابهه فيها. وأن نضع في اعتبارنا دائمًا أن الله سرمدى، وغير محدود، ولا يتغير في جميع صفاته. وعلى الرغم من أننا محدودون ومتغيرون بعدة طرائق، وعلى الرغم من إخفاقاتنا، إلا أننا ما زلنا نملك بعض الجوانب من كياننا التي تُشابه الله من جهة أننا يمكننا أن نحصل على معرفة، ويمكننا أن نُحب، وأن نسعى لتحقيق العدالة والرحمة. تلك أشياء يعملها الله على نحو كامل - ونعملها نحن على نحو محدود - لكن من المهم أن نفهم من نحن باعتبارنا صورته ومن هو باعتباره خالقنا.

— أ. براندون روبنز

حتى الآن، قمنا بعرض مفهوم صفات الله وأعماله بالنظر إلى الصفات الإلهية. الآن، نتحول إلى الجانب الآخر من هذا الثنائي، وهو أعمال الله الإلهية.

الأعمال الإلهية

في هذا الدرس، سنتطرق باختصار إلى الأعمال الإلهية لأننا سندرس هذه الفكرة بأكثر تفصيل قريب نهاية هذه السلسلة. لكن، كلمحة عامة، سنشرح أولاً المفهوم الرئيسي للأعمال الإلهية؛ وثانيًا، سنعرض أنواع أعمال الله. لنتناول أولاً المفهوم الرئيسي للأعمال الإلهية.

المفهوم الرئيسي

إن سألنا معظم الإنجيليين هذا السؤال: "ما هي أعمال الله؟"، فإن الغالبية منا سيشير إلى

المواضع التي يذكر فيها الكتاب المقدس إنَّ الله قام بهذا العمل أو غيره. وهذا صحيح، إلى حدِّ ما. لكنَّ يتناول علماء اللاهوت النظامي الأعمال الإلهية بطريقة تشبه تناولهم للصفات الإلهية. فبدلاً من التركيز على أحداث تاريخية مُحددة، هم يحاولون فهم ما يكمن وراء هذه الأحداث. فيسألون: "ماذا يمكننا معرفة ما هو صحيح دائماً، عمّا عمله الله، ويعمله، وسيعمله؟"

يُمكننا أن نُوجِّزَ هذا التوجُّع الرئيسيَّ لدراسة الأعمال الإلهية بالقول إنَّ موضوع الأعمال الإلهية في اللاهوت النظامي يشير إلى:

كيف يعمل الله كلَّ شيءٍ حسب مقاصده الأزلية.

وسوفَ نسلطُ الضوءَ على جانبين من هذا الموضوع، ونبدأُ بحقيقة أن الأعمال الإلهية تشمل كلَّ شيءٍ. فإنَّ فكرة أن الأعمال الإلهية تشمل كلَّ حدثٍ تبدو في أحيانٍ كثيرةً نظريةً وتخمينيةً بالنسبة لطلبة اللاهوت الجدد. وهكذا، لا بدَّ أن نقولَ بضعة أشياء عن هذا البعد في أعمالِ الله. في رسالة أفسس ١: ١١، يُسبح بولسُ الله لأنه:

الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ (أفسس ١: ١١).

وهنا نرى أن بولسَ ذَكَرَ حقيقة أن الله "يعملُ كلَّ شيءٍ". فهو لم يقلَّ إنَّ الله مُشتركٌ في بعض الأحداث، أو حتى في الكثير من الأحداث. فما كان يجولُ في ذهنه هو أن الله، بشكلٍ ما، يعملُ كلَّ حدثٍ فرديٍّ وقعَ على الإطلاق أو سيَقَعُ.

من غيرِ المعتادِ بالنسبة للإنجيليين المعاصرين التفكير في أعمالِ الله بهذا النطاقِ الواسعِ. فبالنسبة للكثيرين منَّا، نحنُ نقرأ الكتاب المقدسَ ونستنتجُ أن الله يعملُ بعضَ الأشياءِ فحسبُ، بينما تقومُ جوانبُ أخرى من الخليفةِ بأشياءَ أخرى.

هذا النوعُ من التفرقة يظهرُ بالفعل في الكتاب المقدس. فهو يتحدثُ عن كونِ الله يعملُ في بعض الأحيان في العالم على نحوٍ مباشرٍ. على سبيلِ المثالِ، هو أنقذَ شعبَ إسرائيلَ عندَ البحرِ. كما يشيرُ الكتاب المقدسُ أيضًا إلى مخلوقاتٍ خارقةٍ للطبيعة تُجري الأحداث، مثلما حينَ جرَّبَ إبليسُ أيوبَ كي يلعنَ الله. وفوقَ هذا، نقرأ عن بشرٍ يتسبَّبون في وقوعِ أحداثٍ. على سبيلِ المثالِ، بدَّلَ داوُدُ جهداً شاقاً للإعدادِ لبناءِ هيكلِ سليمان. كما نقرأ أيضاً عن حيواناتٍ ونباتاتٍ تؤثِّرُ في

العالم. ويتحدث الكتاب المقدس أيضًا عن أشياء غير عاقلة، مثل الشمس، التي تؤثر في الحياة على الأرض.

لكن السؤال المطروح في اللاهوت المسيحي الكلاسيكي هو: هل ينبغي أن نحصر ما نطلق عليه "أعمال الله" فقط على تلك الأحداث التي ينسبها الكتاب المقدس حصريًا له؟ وقد أجاب الاتجاه السائد من اللاهوت المسيحي الكلاسيكي، متبعا الكتاب المقدس، على هذا السؤال بـ"لا" مُدَوِّبَةً. فإذ استخلص علماء اللاهوت المسيحيون المصطلحات من أرسطو، وصفوا الله بأنه "العلّة الأولى" لكل شيء. وفي اللاهوت الإنجيلي، هذا يعني أن الله، باعتباره العلة الأولى، لم يبدأ التاريخ فحسب. لكنّه هو السبب المطلق والتام وراء كل حدث يقع في كل لحظة في التاريخ.

لكن بالإضافة إلى وصف الله بأنه العلة الأولى، تحدث علماء اللاهوت النظامي الإنجيليون أيضًا عن علل ثانوية. فإنّ العلة الثانوية هي كائنات مخلوقة أو أشياء تقوم بأدوار حقيقية لكنها ثانوية في التسبب في وقوع الأحداث.

هذا التمييز بين العلة الأولى والعلل الثانوية مؤسس على حقيقة أن الكتاب المقدس يتناول ما يتجاوز بعض الأحداث المعجزية المذهلة - مثل إنقاذ شعب إسرائيل عند البحر - باعتبارها أعمالاً إلهية. فإنّ الأصحاح الأول من سفر أيوب يوضح أنّ الله هو من فوض إبليس لامتحان أيوب. وفي ١ أخبار الأيام ٢٩: ١٦، أعطى داود نفسه المجد لله لأجل نجاحه في الإعداد لبناء هيكل سليمان. وتُشير نصوص مثل المزمور ١٤٧: ٧-٩ إلى أن الله هو المتحكم فيما تفعله النباتات والحيوانات. أما تأثيرات الأشياء غير العاقلة، كالشمس، فهي تُنسب إلى الله في نصوص مثل إشعياء ٤٥: ٦-٧.

ولاحقًا في هذه السلسلة، سنستعرض كيف أن الله، العلة الأولى، يستخدم الخليفة، أي العلة الثانوية بمختلف الطرائق. وسنرى بشكل خاص كيف أن هذا يساعدنا على فهم أنّ الله ليس هو صانع الشر. ولكن الآن، نود ببساطة أن نشير، بشكل أو بآخر، إلى أنّ أعمال الله تشمل كل شيء يحدث في التاريخ، سواء كان الله يعملها بشكل مباشر أو غير مباشر. إن نظرنا مرة أخرى إلى ملخص المفهوم الرئيسي عن الأعمال الإلهية، فيمكننا أن نرى أنّ الأعمال الإلهية هي أيضًا "حسب مقاصد [الله] الأزلية".

كما رأينا سابقًا في هذا الدرس، قدّم علماء اللاهوت الكثير من الاهتمام إلى صفات الله السرمديّة وغير المتغيرة، في العقيدة عن الله. كذلك، ركّزوا أيضًا على أن أعمال الله هي بحسب حُطته أو مقاصده الأزلية وغير المتغيرة. ومن المنصّف أن نقول إن الكثير من الإنجيليين

المعاصرين ليسوا على دراية بهذا المفهوم. ومن يتحدثون عن هذه الأمور يفهمونها أيضًا بطرقٍ مختلفة. ولذلك، لا بد أن نقضي بعض الوقت لشرح الفكرة الرئيسية التي نقصدها. تذكر جيدًا أن بولس في رسالة أفسس ١: ١١، مجدّ الله لأنه:

الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ (أفسس ١ : ١١).

لاحظوا هنا أن بولس لم يتحدث فقط عن "كُلَّ شَيْءٍ" باعتباره عمل الله، لكن أيضًا بأنَّ كلَّ عملٍ من أعمال الله هو "حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ". أشار بولس هنا إلى مفهوم العهد القديم أن الله له خُطَّةٌ أزليَّةٌ للتاريخ، خُطَّةٌ هو سينمّمها بالتأكيد. استمع، على سبيل المثال، إلى إشعياء ٤٦ : ١٠ حيث يقول الله:

مُخْبِرٌ مُنْذُ الْبَدْءِ بِالْأَخِيرِ، وَمُنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ، قَائِلًا: رَأْيِي يَقُومُ وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي (إشعياء ٤٦ : ١٠).

يُعتبر هذا الجانب من أعمال الله غامضًا للغاية حتى أن المؤمنين الأمناء قد فهموه بعدة طرائق مختلفة. لكن في المُجمل، دائمًا ما أكد الاتجاه السائد للاهوت المسيحي أن الله لديه خُطَّةٌ أزليَّةٌ. وأنَّ أعماله – التي تشمل كلَّ بُعدٍ من أبعاد التاريخ – دائمًا ما تُنمّم مقاصده الأزليَّة. فإنَّ الله ليس في جهلٍ بما سيحدث في التاريخ. ولا يتفاجأ قطُّ به. كما إنَّ مقاصده لا تخيب. ويقدر كون هذا الأمر غامضًا، إلا أن لا شيء يتعدى خُطَّة الله الشاملة للتاريخ في المسيح.

كُلَّمَا حدث شيء في العالم، يتساءل الناس: "هل هذا شيء كان في فكر الله حقًا أم لا؟"، خاصة حين تسوء الأحوال في العالم، نتساءل: "أين الله من هذا، وما هو قصده؟" واعتقد أنه من المفيد أن نفهم كامل عقيدة سيادة الله الكتابية، لأنه من الواضح أن لا شيء يحدث خارج مشيئة الله وقصده. يُعدُّ أفسس ١ بالتأكيد أحد المواضع التي يُقال فيها أن الله يعمل كلَّ شيءٍ حسب رأي مشيئته. وهكذا فإنَّ كلَّ شيءٍ حدث يومًا في التاريخ هو بالتأكيد جزء من مقاصد الله. وإنَّ الله لديه – وهذا لغزٌ كبيرٌ أمام عقولنا المحدودة – قصدٌ يُنمّمه خلال التاريخ البشري.

— د. فيليب راين

إِنْ كَانَ اللهُ كَلِيَّ الْعِلْمِ، وَإِنْ كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ بِالْمَاضِي، وَالْحَاضِرِ، وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَبِكُلِّ
الْأَشْيَاءِ الْمُحْتَمَلِ حَدُوثِهَا وَالْأَشْيَاءِ الْفَعْلِيَّةِ، هِيَ مَعْرِفَةٌ شَامِلَةٌ وَتَامَةٌ، فَإِنْ جَمِيعَ
الْأَحْدَاثِ الزَّمْنِيَّةِ إِذَنْ هِيَ جُزْءٌ مِنْ خُطَّتِهِ.

— د. جلين كرايدر

بعد أن نظرنا إلى المفهوم الرئيسي عن أعمال الله، لا بد أن نذكر أيضا كيف ميّزت
الدراسات المنهجية لعقيدة الله بين الأنواع المختلفة، أو أصناف الأعمال الإلهية.

الأنواع

كمثال واحد على هذا، استمع مرة أخرى إلى الفقرة الأولى من إقرار إيمان أوجسبرج:

يُوجَدُ جَوْهَرٌ إِلَهِيٌّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ: سَرْمَدِيٌّ، دُونَ جَسَدٍ، دُونَ أَجْزَاءٍ، لَهُ قُوَّةٌ وَحِكْمَةٌ
وَصَلَاحٌ غَيْرٌ مُحْدُودِينَ، وَهُوَ خَالِقٌ وَحَافِظٌ كُلِّ الْأَشْيَاءِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى.

كما نرى هنا، بعد أن سرد إقرار الإيمان بعض صفات الله، يلفت الانتباه إلى نوعين من
الأعمال الإلهية. من جهة، يذكر أن الله "خالق... كل الأشياء، ما يرى وما لا يرى". ومن جانب
آخر، يذكر أن الله هو "حافظ كل الأشياء، ما يرى وما لا يرى".
هذه التصريحات الموجودة في إقرار إيمان أوجسبرج تمثل تفرقة بارزة ومعتادة بين نوعين
من الأعمال الإلهية. النوع الأول هو عمل الله في الخلق. جميعنا يعلم أن الكتاب المقدس في تكوين
١: ١، يبدأ هكذا:

فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ (تكوين ١: ١).

ويبدأ الكتاب المقدس بهذا التعليم لأنه يُشكّل أساس كل ما نؤمن به عن أعمال الله.

تُوجد عدة طرائق لإيجاز الدراسات الكلاسيكية عن عمل الله في الخلق في العقيدة عن الله. وسنقوم باستعراض هذه الطرائق في دروس لاحقة، لكن في هذا الدرس، سنكتفي بأن نذكر ببساطة ثلاث ركائز رئيسية. أولاً، حقيقة الخلق: كيف خلق الله كل ما هو موجود. وثانياً، تنوع الخلق، كيف صنع الله تنوعاً في العالم الروحي والعالم المادي على حد سواء. وثالثاً، الغرض من الخلق: كيف أسس الله الخليقة في البداية ليتم مقاصده الأزلية.

بالإضافة إلى عمل الخلق، فإن النوع الثاني من الأعمال الإلهية هو عمل عناية الله، أو كما في كثير من الأحيان يُقال، حقيقة حفظ الله لخليقته.

للأسف، في غالبية الأحيان، لا يستوعب المؤمنون الإنجيليون اليوم عمق عمل عناية الله. فهم يتخيلون أن الله حين خلق العالم، وهبهُ قدرًا من الاستقلال حتى يتماسك دون رعايته. لكن في اللاهوت النظامي الكلاسيكي، تحمل لفظه "عناية" - المشتقة من الكلمة اللاتينية "providentia" - دلالات "الاعتناء بشيء"، أو "رعاية شيء". وهذه المصطلحات تعكس الإيمان المسيحي بأن الخليقة معتمدة الآن على الله تمامًا كما كانت معتمدة عليه في اللحظة الأولى من الخلق. استمع إلى رسالة كولوسي ١: ١٦-١٧ حيث قال الرسول بولس هذه الكلمات:

فإنه فيه [في المسيح] خلق الكل: ما في السموات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خلق. الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل (كولوسي ١: ١٦-١٧).

كما يبين هذا النص، فليس صحيحاً فحسب أن في المسيح خلق الكل، بل أيضاً أنه بنفس القدر فيه يقوم الكل. ومن خلال وضع هذا التوازي، يوضح الرسول أن الخليقة ستنهار تماماً دون عمل عناية الله - أي رعايته الحافظة والداعمة - المستمر في الخليقة.

ببساطة، يمكن إيجاز عمل العناية، مثله مثل عمل الخلق، في ثلاثة أقسام رئيسية: حقيقة عناية الله بالخليقة، وكيف أنه يحفظ ويدعم العالم وكل ما خلقه؛ وأيضاً تنوع عمل عناية الله، وكيف يتفاعل مع أوجه مختلفة من الخليقة بطرائق مختلفة؛ وأيضاً غرض عمل عناية الله، وكيف يضمن أن تتمم الخليقة مقاصده الأزلية. لن نستطلع هذه التفاصيل في هذا الدرس. لكن فيما نستمر في دراسة عقيدة الله، سنرى بأكثر وضوح كيف أنه أمر محوري أن نفهم أعمال الله، أي كلاً من عمله في الخلق وأيضاً عمله في العناية.

حين نتحدث عن عناية الله، نعني بذلك رعاية الله المستمرة لخليقته. فإننا لا نؤمن بأن الله خلق العالم وحسب. لا، بل استمر الله في دعم العالم وحفظه بكلمة قدرته. ومن خلال روحه. وهكذا أيضاً بالنسبة لتدبير الله لجميع احتياجاتنا. ولهذا من المهم أن نشكر الله، ونحمده. فإن كل عطية صالحة قد نلناها من الآب. وهكذا، يلزم أن نتذكر أنه يهبنا كل ما نحتاجه. فهو السيد. وهو فعلياً يُشرف على جميع الأحداث، حتى تلك التي تبدو خارج السيطرة. لكن الله كلي القدرة يسمو على كل هذه الأشياء، ويوجهها، ويسمح لأشياء بالحدوث قد تتسبب في ارتباكنا، لكننا نؤمن أنه يوجهها للغرض الذي يريده. لكنه أيضاً يعتني بنا على نحو خاص وبأمر خلاصنا، مُعيناً إيانا على إدراك حاجتنا لعمله الاستردادي بالنعمة، وأنه يوماً ما سيأخذنا إلى تلك السماوات الجديدة والأرض الجديدة إن وضعنا ثقتنا فيه وتبعناه. وما سنراه هناك هو ملء عمل عناية الله، باعتباره الآب السماوي العظيم الذي يحبنا كثيراً، حين يدبر لنا كل عطية صالحة نحتاجها لدعمنا في العمل الذي وهبنا أن نعمله.

— ق. د. جاستين تيري

الخاتمة

في هذا الدرس، قُمنَا بعملٍ مقدمةٍ لدراستنا في العقيدة عن الله، بالتركيز على كيفية تقدُّمنا في ما نعرفه عن الله. ورأينا كيف أن معرفتنا بالله تتشكل من خلال كل من الإعلان والأسرار الإلهية، التي تشمل الإعلان الخاصّ والعامّ، والأسرار الوقتية والدائمة. وقد تعلمنا أن معرفتنا بالله تستلزم وعياً بكل من صفاته وأعماله، أي صفاته غير القابلة للمشاركة وتلك القابلة للمشاركة، وأعماله في الخلق والعناية.

ينبغي لجميع أتباع المسيح أن يكونوا حرصين على النمو في معرفتهم الشخصية بالله، وفي إدراكهم لأعماله في العالم. لكن لكي نقوم بذلك، يجب أيضاً أن نُكرس أنفسنا للتعلُّم عن الله بقدر المستطاع. وفي هذا الدرس، تطرّقنا باختصار إلى بعض القضايا الرئيسية التي تأتي في مقدمة العقيدة عن الله. لكن ونحن نستكمل في الدروس التالية، سنتعلّم المزيد والمزيد عن عقيدة الله، بينما نبحت أكثر عمّن

هو الله وماذا يفعل. وفي أثناء ذلك، سنرى في كل خطوة على الطريق، كيف أن زيادة معرفتنا بالله لازمة لكل بُعد من أبعاد اللاهوت المسيحي، ولكل بُعد من أبعاد الخدمة الأمينّة لله.

ق. شريف جندي (المقدم) هو مدير قسم الإنتاج العربي في خدمات الألفية الثالثة. وهو حاصل على ماجستير في العلوم اللاهوتية (M.Div.)، وماجستير في الدراسات الكتابية (MAR)، ويقوم حالياً بدراسة الدكتوراه في فلسفة اللاهوت (Ph.D.) لعلم التفسير الكتابي في تخصص العهد القديم.

د. ريك بويد هو أستاذ التفسير الكتابي بكلية ولسلي الكتابية.

د. چاري بورج هو أستاذ العهد الجديد بجامعة وكلية ويتون للدراسات العليا.

د. چاريث كوكريل هو أستاذ العهد الجديد واللاهوت الكتابي بكلية ولسلي الكتابية.

ق. لاري كوكريل هو الراعي الرئيسي لكنيسة عائلة الإيمان وعضو في هيئة التدريس بكلية برمنجهام للاهوت.

د. ويليام إدچار هو أستاذ الدفاعيات بكلية وستمنستر للاهوت.

د. بروس فييلدز هو رئيس قسم دراسات اللاهوت الكتابي والنظامي وأستاذ مشارك للاهوت الكتابي والنظامي بكلية ترينيتي الإنجيلية للاهوت.

د. سكوت هوريل هو أستاذ الدراسات اللاهوتية بكلية دالاس للاهوت.

د. چلين كرايدر هو أستاذ الدراسات اللاهوتية بكلية دالاس للاهوت.

د. صامويل لامرسون هو مدير كلية نوكس للاهوت وأستاذ العهد الجديد.

د. جفري مور خدم كراعٍ لكنيسة ترينيتي داونتاون، أورلاندو في الفترة من ٢٠٠٣ إلى ٢٠١٤.

- أ. براندون روبنز هو مدرس للدفاعيات بمركز موارد الدفاعيات بكلية برمنجهام اللاهوت.
- ق. ريك رودهيفر هو الراعي الرئيسي لكنيسة جماعة المسيح في لاجونا هيلز، بكاليفورنيا.
- د. فيليب راكن هو مدير جامعة ويتون.
- ق. د. جاستين تيري هو عميد ومدير كلية ترينيتي للخدمة، وكذلك أستاذ اللاهوت النظامي.
- د. ك. إريك تونيس هو أستاذ الدراسات الكتابية واللاهوتية في كلية تالبوت للاهوت بجامعة بيولا، وهو رئيس قسم اللاهوت للدراسات الكتابية واللاهوتية.
- د. كارل ترومان هو أستاذ اللاهوت التاريخي وتاريخ الكنيسة ويجلس على كرسي پول وولبي للتاريخ بكلية وستمنستر للاهوت في جليفسايد، بنسلفانيا.
- ق. د. لويس وينكلر هو عضو مقيم في هيئة التدريس للدراسات اللاهوتية والتاريخية بكلية شرق آسيا للاهوت.